

مكتبة
قطاع الثقافة

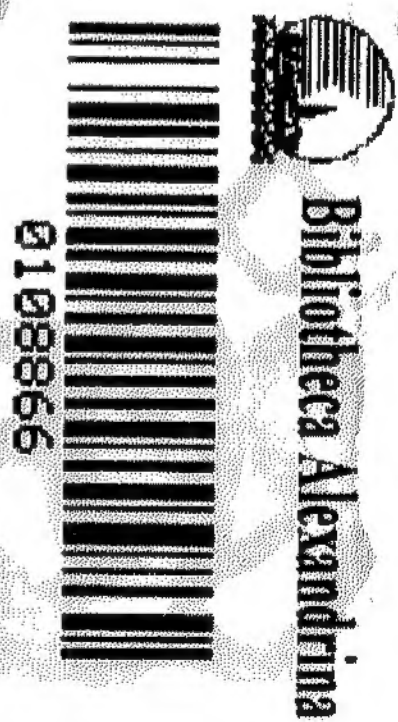


احسان عبد القدوس



الزيتون

م. ق. ٢٠٠٢



مطبوعات



قطاع الثقافة

رئيس مجلس الإدارة.:

إبراهيم سمعده



قطاع الصحافة



Organized by the Ministry of Culture
Cairo, Egypt

دار أخبار اليوم
قطاع الصحافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠١



إحسان عبد المطلب





الاخراج الضنى :

أحمد السعيد

الغلاف بريشة الفنان :

عمرو فهمي



إهداء

إلى السيدة أمال طليمات
أختي..
بقدر ما أحببتها..
وبقدر ما احتملت من
حيرتي..
وبقدر ما لجأت إليها..
وبقدر ما فرحت بها ولها..
إحسان عبدالقدوس

توطئة

كثير من الناس يقولون لى: لو كان لك ابنة لما كتبت هذه القصص التى تكتبها، ولما اعتنقت هذه الآراء الجريئة التى تدعو إليها..

وهم مخطئون

إن الكاتب عندما يكون رأيه، إنما يكونه نتيجة نظرتة إلى المجتمع كله، لا نظرتة إلى نفسه، ولا إلى عائلته.. ورغم هذا ففى عائلتى بنات كثيرات.. كلهن قرأن قصصى، وأتمنى لو كل واحدة منهن سمعت كلامى.. وهذا الخطاب.. أهديه إلى صغيرتى فاطمة الجندى ابنة اختى، وإلى كل بنات الناس.. لعل أراهن جميعا سعيدات.

إحسان عبدالقدوس

مقدمة

هذه مجموعة من الآراء الاجتماعية - أو على الأصح - آراء
فى حياتنا الخاصة وحياتنا اليومية، كتبتها فى أسلوب
قصصى على لسان «زوجة أحمد»..

وعندما نشرت هذه الآراء لأول مرة، أثارت الكثير من
الاعتراضات.. ولم افاجأ بهذه الاعتراضات..
كنت أنتظرها..

ومن المستحيل أن يكون هناك رأى واحد يعبر عن المجتمع
العربى كله.. فالمجتمع العربى ليس كيانا واحدا تحكمه تقاليد
واحدة، وعقلية واحدة وتسوده درجة واحدة من التطور..

المجتمع العربى فى المملكة العربية السعودية، غير المجتمع
العربى فى لبنان، وغير المجتمع العربى فى السودان.. و.. و..
بل إن المجتمع فى البلد الواحد ليس مجتمعا واحدا..
فمجتمع الإقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة يختلف
عن مجتمع الإقليم الجنوبى.. ومجتمع الوجه البحرى من مصر
يختلف عن مجتمع الصعيد.. ومجتمع حى «السيدة زينب» فى
القاهرة يختلف عن مجتمع حى «الزمالك».. وهكذا..
وأنا لا أقصد «المجتمع» العربى من ناحية وحدته القومية،

مقدمة

ولكن أقصد المجتمع من ناحية التقاليد التى تسوده، ودرجة التطور التى يمر بها..

وتقاليد أى مجتمع تقوم على عدة عوامل، منها:

الدين .

مستوى المعيشة..

مستوى الثقافة..

البيئة..

تاريخ الجماعة..

الانتماء إلى الأغلبية أو إلى الأقلية..

وعوامل أخرى كثيرة..

ومع اختلاف هذه العوامل تتكون الطبقات.. الطبقة الغنية، والطبقة المتوسطة، والطبقة الفقيرة.. ويصبح لكل طبقة من هذه الطبقات تقاليد خاصة بها، ومشاكل خاصة، ودراسات خاصة..

ويتأثير بعض هذه العوامل تختلف أيضا تقاليد العائلات والأفراد داخل الطبقة الواحدة.. وكثيرا ما نرى عائلتين متجاورتين يقيمان فى عمارة واحدة، ويعيشان فى مستوى اقتصادى واحد ورغم هذا تختلف التقاليد بينهما.. إحدى العائلتين تسمح لبناتها بالعمل، والعائلة الأخرى تمنع بناتها من العمل.. وقد يكون هذا الاختلاف راجعا إلى اختلاف الدين، أو اختلاف درجة الثقافة.. أو إلى أى عامل آخر من العوامل الكثيرة التى تحكم المجتمع.

وتبعاً لهذا الخلاف الكبير بين المجتمعات المتعددة، تختلف

مقدمة

المشاكل، وتختلف الآراء..

بل قد تكون هناك مشكلة تعتبر مشكلة رئيسية فى حياة مجتمع معين، فى حين أن ليس لها وجود إطلاقاً فى مجتمع آخر، رغم أن المجتمعين عربيان، وقد ينتميان إلى بلد واحد.. تعدد الزوجات مثلاً، ليس مشكلة فى اليمن، أو لدى بعض القبائل فى السعودية.. فى حين أنه مشكلة كبيرة فى مجتمع القاهرة تثير اهتمام الفقهاء والباحثين.

كذلك الرقص الأفرنجى، أو «المايوه» ليس مشكلة فى بعض المجتمعات، فى حين أنه مشكلة فى مجتمعات أخرى. وقس على ذلك العلاقة الاجتماعية بين الزوجين، وبين الآباء، الأولاد، وكل مظاهر الحياة.

ورغم هذا فهناك أسس عميقة تجمع بين هذه المجتمعات.. الأسس التى تقوم على المبادئ الإنسانية، ومبادئ الأخلاق.. كما أن هناك عاملاً مشتركاً فى جميع تصرفات الأفراد، وهو «الذكاء» فالزوجة التى تحاول أن تقنع زوجها بأن يسمح لها بأن تطل من الشباك، تحتاج إلى نفس الذكاء الذى تحتاجه زوجة تحاول أن تقنع زوجها بأن يسمح لها بارتداء «المايوه» على شاطئ البحر.. وقد اهتمت كثيراً فى الآراء التى يحملها هذا الكتاب، بإبراز عنصر «الذكاء»..

وكل ما أرجوه عندما يناقش القراء هذا الكتاب، أن يناقشوه على أساس المجتمع والطبقة التى عنيتها بأرائى، وهى - بلا تحديد - الطبقة المتوسطة المثقفة التى تعيش فى المدينة الكبيرة، وتجتاز فترة من الحيرة الشديدة أمام مشاكل

مقدمة

التطور التى تهب عليها .

★ ★ ★

وبعد..

إننا نتطور..

وكلمًا تطورنا ثقافيا واقتصاديًا.. تقاربت الطبقات فى مجتمع البلد الواحد بعضها من بعض.. ثم.. كلما ازدادنا تطورًا تقاربت المجتمعات العربية فى البلاد المختلفة بعضها من بعض، إلى أن تتكون تقاليد المجتمع العربى الواحد.

إحسان عبدالقدوس



يعتقد الناس أنى وزوجى أحمد أسعد زوجين فى مصر..
والسعادة التى تبدو فى حياتى الزوجية، والتى يراها الناس،
هى الثوب الخارجى.. ولكن الناس لا تعلم كيف حكى هذا
الثوب، ولا تدرى أن هذا الثوب قد «فتق» عدة مرات، ولا تدرى
كيف أحافظ عليه حتى أصونه من «البقع» وحتى يبدو دائما
كأنه ثوب جديد نظيف.. ولا تدرى أن تحت الثوب الخارجى
قطعا أخرى من الثياب.. الكورسيه والسوتيان والكومبيزون
والجيبون!

إن الناس ترى سعادتى، ولكنها لا ترى مدى ما أبذله من
مجهود للاحتفاظ بها، ولا ترى الأسس التى أقمت عليها هذه

زوجة أحمد

السعادة.

وفى خلال الخمسة عشر عاما التى مضت على زواجى،
تعرض بيتى لكل المشاكل التى تتعرض لها البيوت الزوجية
الآخري.. تعرض لليأس والدموع وللعناد وللكبرياء الكاذب..
ولكنى استطعت - والحمد لله - أن أتغلب على كل ذلك، وأن
أصون بيتى وأصون سعادتى.

كيف؟!

أعتقد أنه يجب أن أروى القصة من أولها، فلن تعرفونى ولن
تعرفوا سر سعادتى، إلا إذا عرفتم كيف تزوجت.
تزوجت عن حب..

كان زوجى أحمد صديقا طارئا لبعض شباب عائلتنا..
التقيت به صدفة فى بيت أختى الكبيرة، وقد جاء بصحبة شقيق
زوجها..

وربما أحببته من أول نظرة.. ولكنى لم أومن بهذا الحب، ولم
استشعره إلا بعد أن تركته يبذل مجهودا كبيرا لإقناعى به.
وعيب فتياتنا انهن بمجرد أن يخيل للواحدة منهن أنها
أحبت تندفع وراء حبها فى تهور وتبدأ فى فتح جميع الأبواب
لحبيبها.. وقد أردت أن أتغلب فى شخصى على هذا العيب..
كنت أعلم أن هناك فرقا كبيرا بين الحب ومجرد «الاستلطاف»
وكنت أريد أن أتأكد من أنى أحب أحمد فعلا قبل أن اكتشف
فى النهاية أنه لم يكن بينى وبينه سوى مجرد استلطاف.. كما
أنى كنت مصممة على ألا أفتح له بابا إلا إذا فتحه بنفسه.. لم
أحاول أن أتصل به بالتليفون، بل تركته يحاول.. وتركته يمانى

زوجة أحمد

صوت أمي، وصوت أبي، وصوت الخدم جميعا، وفي المرات القليلة التي تصادف أن رددت فيها على التليفون بنفسى، كنت أحادثه بتحفظ كبير حتى يشعر بالخجل من نفسه، ويجبن على أن يعلننى بشىء من عواطفه.

وتركته يحاول أن يوطد صداقته بأقاربى ويزوج أختى ويتحایل ليحضر كل مناسبة تضمنى.

وكنت فى هذه المناسبات أحاول أن أعرفه أكثر.. لم أكن أبدو أمامه باردة أو غير عابئة، بل كنت أعطيه من اهتمامى ما لا أعطيه لغيره.. كنت اتحدث إليه طويلا حتى لو أثار إقبالى على الحديث إليه تعليق بعض من حولنا، وحتى لو شعرت بالعيون ترمقنى بهذه النظرات الخبيثة التى تحمل اللوم واللاتهام والسخرية.

ومضت ستة أشهر قبل أن أعرف أحمد على حقيقته، وقبل أن أتأكد من أنى أحبه، وأنه يحبنى.. وبعدها سمحت له أن يحادثنى فى التليفون وسمحت لنفسى أن أحادثه فى التليفون. وصممت على أن أتزوجه..

ولكن أحمد حتى هذه المرحلة لم يكن يفكر فى الزواج، ولم يبد فى أحاديثه ما يبشر بالزواج.
لماذا؟

سألت نفسى كثيرا لماذا لم يفكر أحمد فى الزواج بى حتى اليوم، ولماذا لا يريد أن يحمل حبه لى على محمل الجد. واكتشفت فى أحمد ثلاث خصائص، ربما كانت خصائص مشتركة فى كل الرجال:

زوجة أحمد

كان مغرورا.. يريد أن يشعر دائما أنه أقوى من «الزواج»
وأن الفتيات تحبه لوجه الله.

وكان غير مستقر.. كانت حياته مبعثرة.. أول الشهر غير
آخر الشهر.. ونهاره غير ليله، ويقيم أحيانا فى بيت والده
وأحيانا فى بنسيون وأحيانا فى القاهرة وأحيانا فى
الإسكندرية.

وكان غير مسئول ولا يريد أن يحمل مسئولية.. كان قد
تخرج منذ عام واحد فى كلية الحقوق، والتحق بمكتب أحد
المحامين تحت التمرين، وكان فى الوقت نفسه يهتم بأعمال
بعض شركات التأمين . وكان يقوم بأعماله هذه بلا نظام، وبلا
ترتيب.. كان يضحى بكل شىء إذا وجد سهرة ممتعة أو
صديقا يصاحبه، وكان يصرف كل ما فى يده، ولا يتحمس
لعمل إلا إذا لم يجد فى يده شيئا.

كانت هذه هى خصائص أحمد التى اعتقدت أنها تحول
دونه والتفكير فى الزواج.

وبدأت أعالج هذه الخصائص..

كيف؟

بدأت أولا أشبع غروره.. بدأت أحاول أن أكون أنا وحدى
التي قملأ هذا الغرور.. فتعمدت أن أكون دائما أجمل فتاة فى
كل مكان يجمعنا.. وإذا لم يسعفنى جمالى فإننى أتعمد أن
أثير حولى اهتمام الناس.. اهتمام اختى وزوجها وأصدقائها،
حتى يشعر أن الفتاة التى يحبها فتاة مهمة.. ثم بدأت أرضى
هذا الغرور بمختلف العواطف التى اسلطها عليه.. كنت أبدو
أحيانا ضعيفة فى حبي إلى حد البكاء، وأحيانا قوية إلى حد

زوجة أحمد

أن يعتقد أنى قلعة حصينة لن يصل إليها .. وأحيانا أدعه يغار على، وأحيانا أخرى أدعه يثق بنفسه إلى حد التهور .. و.. لم أترك عاطفة هادئة أو ثائرة إلا سلطتها عليه.

وكان على لأضمن أن ليس هناك غيرى يحاول أن يشبع غرور أحمد، أن اتأكد من أن كل وقته لى .. أن لم يكن معى فهو يفكر فى .. فحرصت على أن اعلم دائما بمكانه فى أى لحظة من لحظات ليله أو نهاره .. أين هو ومع من .. ولم تكن أمامى وسيلة أربطه بها إلا بالتليفون.

وعندما ربطته بالتليفون بدأ أحمد يستقر .. كان يحادثنى فى التليفون فى الساعة الثامنة والنصف صباحا قبل أن يذهب إلى المحكمة، فإن رد عليه أبى أو أمى، تحايلت عليهما واتصلت به أنا .. ثم كان يحادثنى عندما يذهب إلى مكتبه وقبل أن يغادر مكتبه .. وأحيانا قبل أن ينام.

وتعود على أحاديثى التليفونية، فأجبره هذا التعود على أن ينظم وقته وتنقلاته، وأن يستقر داخل روتين يومى منظم يسير كالساعة.

وبعد هذا يأتى إحساسه بالمسئولية .. وقد ساعده استقراره على أن يحمل مسئولية عمله، ثم بدأت أحمله مسئولية نفسى .. بدأت استأذنه كلما أردت الخروج حتى لو كنت خارجة مع أهلى، وبدأت استأذنه فى اختيار صديقاتى وفى اختيار ثيابى وفى كل تصرفاتى، وكنت أخضع لرأيه بلا مناقشة أو بعد أن أناقشه مناقشة عابرة لاشعره بأنى اضحى فى سبيل الخضوع لرأيه.

وهكذا حملت أحمد مسئوليتى ..

زوجة أحمد

أصبح الشخص الوحيد المسئول عني - معنويا - أكثر من
مسئولية أبي وأمي!

وبدا يفكر في الزواج..

ولكن ماذا أخذ مني، وماذا أعطيته في هذه المرحلة؟
أستطيع أن أقول.. لا شيء..

وأستطيع أن أقول أيضا، أنني تعذبت - ربما أكثر منه - وأنا
أحرمه من نفسي، وأحرم نفسي منه!

كان أحمد يلح كثيرا في لقائي . لقاء يجمعنا نحن الاثنين
وحدنا.. وكنت أرفض وأصر على ألا نلتقي إلى في محيط
أصدقاء أختي وزوجها، وكان أحمد يثور ويتهمني بأني بخيلة،
وأني جبانة.. ثم كان يتهمني بأني لا أحبه ما دمت لا أرضى
بلاقائه.. ولكني كنت أصمد أمام هذه الاتهامات حتى عندما كان
يهددني باليأس مني.. و«رمي طوبتي»! ولكنه لم ييأس مني
أبدا..

كنت أعلم أنه يحبني.. وكنت أعلم أيضا أن الحب أقوى من
اليأس.. إن الحب أمل لا يموت.

وكنت أحرص على أن يراني أحمد كثيرا.. إن لم يكن في
بيت أختي، ففي بيوت أصدقاء أختي.

وعندما أذهب إلى السينما بصحبة أبي وأمي كنت أطلب منه
أن يذهب إلى نفس السينما لأراه ولو من بعيد، وأحيانا كنت
أقطع له تذكرة السينما بنفسى، وأختار له مقعدا أستطيع أن
أراه منه ويراني، وأترك له التذكرة باسمه مع عامل الباب.

وقد قبلني أحمد طوال هذه الفترة مرة واحدة، أسفة، مرتين!

زوجة أحمد

القبلة الأولى كانت فى شرفة بيت أختى.. كان هناك كثير من الاصدقاء يقضون السهرة، وتسالت أنا وأحمد إلى الشرفة لتحدث فيما بيننا . واقترب منى أحمد. اقترب أكثر من اللازم.. وأحسست بنفسى أكاد انهار وأنا أشعر به يكاد يلامس جسدى.. فاستدرت لانفلة عائدة إلى الداخل.. وفى استدارتى لمس وجهى وجهه وأحسست بشفتيه فوق خدى.. وحاول أن يحتضنى بين ذراعيه، ولكنى هربت سريعا . ودخلت وتركته وحيدا فى الشرفة.

وقضيت الليلة كلها مبهورة الأنفاس..

ومرة ثانية كنا فى الإسكندرية، دائما مع أختى وزوجها وشقيقه، ونزلنا نسيج معا فى البحر حتى وصلنا إلى البراميل، وهناك قبلنى مرة ثانية، ووجدت قدميه تصطدمان بقدمى، فهربت سريعا عائدة إلى الشاطئ، لم أكن أهرب منه، بل من نفسى، كنت أخاف ضعفى!

إن هاتين القبلتين لا تزالان ذكرى حلوة عزيزة لدينا - أحمد وأنا - كثيرا ما نستعيدها فى ليالىنا.

ولم يكن احد يعرف بحبى إلا شقيقتى، كانت تعرف كل أسرارى وكل ما يدور فى رأسى، وكانت تساعدنى كثيرا على عواطفى، وكانت تتعمد دعوة أحمد والترحيب به فى كل مناسبة، وكانت دائما واثقة بى، واثقة بإرادتى وعقلى وكرامتى. أما أبى وأمى فلم يعلما شيئا، وكان من المستحيل أن أقول لهما شيئا، فهما الاثنان محافظان متزمتان، وربما كانت أمى استنتجت شيئا، ربما لمحت بعض الحيل الصغيرة التى كنت ألجأ إليها لاستولى على التليفون كلما اردت أن أحادث أحمد،

زوجة أحمد

وكلما انتظرت منه أن يحدثنى، ولكنها لم تفاتحنى فى مثل هذه المواضع.. ولم يكن من عاداتها أن تفاتحنى فى مثلها.

وبعد فترة أخرى بدأ زوج شقيقتى يعلم، كان يشك، ثم بدأ يتأكد، وكعادة أزواج الشقيقات، ثار بينه وبين نفسه وبدأ يلمح لاختى إلى ما يمكن أن يكون بينى وبين أحمد من علاقة، ثم بدأ يعامل أحمد بفتور وبرود ويهمل دعوته.

وشعر أحمد بنفور وبرود زوج اختى، وجعلته يشعر به أكثر، وأخبرته أنه - أى زوج شقيقتى - بدأ يلمح لزوجته عن حبنا..

كنت أريد أن أخرج أحمد.

وقد أخرج فعلا..

وعندما وجد أن الحلقة بدأت تضيق وتفصل بينى وبينه، وأن فرص لقائنا بدأت تقل، فاتحنى - وكنا على شاطئ الإسكندرية أيضا - فى الزواج.

وكدت أرتمى بين أحضانها فرحة به، ولكنى تمالكت ووضعت يدي فى يده وضغطت عليها كائى أسلمه قلبى.. وكلى، بينما الفرحة ترتعش فوق وجنتى، حتى لم أستطع أن أخفيها عليه.

وقلت فى صوت خافت:

أظن لازم نكلم اختى الأول..

قال، وكأنه ثار:

أكلما أقول لها آيه؟.. أقولها إنى مفلس، ولا معيش حاجة، وعاييز اتجوز اختك؟

وقد كانت مشكلة فعلا، فإن حالة أحمد المالية كانت أقل من

زوجة أحمد

مستوى أزواج شقيقاتي كلهن، وهو ليس موظفا، ليس له دخل ثابت وليس له إيراد كبير من عائلته، وليس مستقرا. كانت مشكلة..

ولكنى - كما قلت - كنت مصممة على أن أتزوجه، وكنت مستعدة أن أصل في عنادى إلى أقصى الحدود، إلى حد الهرب معه، أو الانتحار؟

واتفقت مع أحمد على ألا يتقدم رسميا لخطبتي إلا بعد أن أمهد له الطريق .

كيف مهدت له الطريق؟

ذهبت لأختى وقلت لها إن أحمد يريد أن يتقدم لخطبتي. وفرحت أختى، كانت تعلم مدى حبنى لأحمد، وكانت هى نفسها قد تزوجت بلا حب.. رجلا كريما محترما ناجحا ولكنها لم تحبه قبل الزواج، وقد عاشت معه سعيدة، ولكنها سعادة باردة متحفظة تخضع للتقاليد والأخلاق أكثر مما تخضع للعاطفة.

وذهبت أختى وعرضت الموضوع كله على أمى.. واستقبلت أمى النبأ ببرود، وربما قررت بينها وبين نفسها أن ترفض هذا «العريس» فلم يكن أحمد زوجا يمكن أن تفخر به أمى أو تتباهى به أمام الناس، لا لشيء إلا لأنه فقير.

وبعد يومين جاءت لتلقى فى وجهى قنبلة.

لقد رفض أبى زواجى من أحمد

ولأول مرة أواجه أمى بالحقيقة وأعلنها أنى أريد أن أتزوج أحمد، وقالت أمى فى هدوء يخفى توتر أعصابها:

زوجة أحمد

انتى بينك وبينه حاجة يا بنتى!
قلت فى جراءة دون أن أدعى الحياء:
ما فيش بينى وبينه حاجة إنما باحبه!
وكأنما البيت كله اهتز، فقد انقضت بعد ذلك أسابيع وكل
شء فى حياتنا مضطرب، بدأ أبى فخاصمنى واعتبرنى قد
خرجت عن طاعته، وبدأت أمى تبكى أمامى أو تتظاهر بالبكاء،
أما أنا فقد حبست نفسى أياما فى حجرتى، وامتنعت عن تناول
الطعام إلا ما كانت تهريبه لى خادمتنا، و.. ومنعوا عنى
التليفون!

ومر كل ذلك وأنا لازلت مصممة على موقفى، أهدد يوما
بالانتحار، وأهدد يوما بالهرب، وأدعى كل يوم المرض.
وتولت أختى العباء الأكبر، فاستطاعت أن تقنع زوجها بأن
يتدخل ليقنع أبى، وكان لزوجها منزلة كبيرة محترمة عند أبى
فاستطاع أن يقنعه

ولم يتول زوج أختى مهمة إقناع أبى إلا - كما قال - بعد أن
تأكد من خلق أحمد، ومن أنه شاب نبيه ذكى ينتظره مستقبل!
ولست فى حاجة إلى أن أطيل فى سرد تفاصيل هذه الأيام،
المهم أنى لم أترشح عن موقفى، لم أضعف ولم أغير رأى،
وكانت قوتى كلها أستمدّها من حبى لأحمد.

وجاء أحمد بصحبة زوج أختى وقابل أبى.
وأعلنت الخطبة.

ولبسنا الدبل فى حفل صغير.
وانطلقت الزغاريد.

زوجة أحمد

وتم كل ذلك وأبى ليس راضيا تماما، كان ينظر إلى كائى مريضة أستعصى علاجها، وكانت أمى تحاول أن تقنع نفسها بالفرح، ولكنها لم تكن فرحة تماما.

أما أنا فقد خيل إلى أنى ملكت الدنيا كلها، وأنى لن أشبع أبدا من أحمد، من أحاديثه ومن ضحكاته ومن مفاجاته الحلوة التى كان يفاجئنى بها، ومن قبلاته وقامت مشكلة المهر.

كان كل ما يمتلكه أحمد مائة جنيه، وهو مبلغ صغير بالنسبة للمهور التى دفعها أزواج شقيقاتى، وأبدى أحمد استعدادا لأن يقترض مائتى جنيه من أصدقائه. ويتقدم لأبى بمهر قدره ثلثمائة.

ولكنى رفضت.. وصممت على ألا يقترض أحمد شيئا.. فقد كنت أعلم أن هذا القرض سيربك حياتى بعد الزواج، وأنى أنا التى سأتولى تسديده من مصروف البيت.

إن العريس عندما يقترض ليدفع المهر يلقى على الحياة الزوجية عبئا ثقيلا كان يمكن التحرر منه.

ولم يكن أبى من النوع الذى يدقق كثيرا فى موضوع المهر، بل كان يعتبر مجرد المجادلة فى هذا الموضوع إهانة.. ورغم ذلك فقد كتب فى وثيقة الزواج أن قيمة مقدم الصداق خمسمائة جنيه قبضها كلها.. لا لشيء إلا ليرضى أمى التى كانت تصر على التظاهر امام الناس بأن مهرى لا يقل عن مهر شقيقاتى.

وجاءت الشبكة، سوار انيق لا يزيد ثمنه عن ستين جنيها. وكانت أمى قد اشترت لكل بنت فص سوليتير ماسيا، تهديه

زوجة أحمد

لها يوم زواجها.. وقد حاولت أن تدعى أمام الناس بأن هذا «الفص» هو الشبكة التي قدمها لى أحمد.. ولكنى رفضت هذا الادعاء، وتعمدت أن أعرض السوار أمام كل صديقاتى وأعلنهم بأنه شبكتى!

إن هذا السوار لا يزال إلى اليوم أعز ما أتطلى به.
وبدأت مشكلة «الجهان» ومشكلة البحث عن البيت الذى أتزوج فيه.. وكانت اختى تقيم فى فيلا انيقة بمصر الجديدة، وأختى الثانية تقيم فى شقة فاخرة بالزمالك، وكنا نحن نقيم فى بيت كبير بالعباسية الشرقية.. وبدأت أمى وشقيقاتى يتحدثن عن شقق يستأجرنها لى فى مصر الجديدة أو فى الزمالك أو فى المعادى، أو على الأقل فى الدقى.
وبدا النقاش يدور حول تأثيث خمس غرف أو على الأقل أربعة.

ولكنى رفضت كل ذلك.

لم أكن أحاول تقليد شقيقاتى فى مظهرهن، ولم أكن أفكر فى مركز عائلتنا، ولم أكن أحسب حسابا لكلام الناس.. كان كل ما أفكر فيه وأحسب حسابه هو قدرة أحمد المالية وقيمة دخله.

وعندما عرفت كم يكسب أحمد فى الشهر والحد الأدنى لهذا الكسب، عرفت انى لا أستطيع أن أعيش معه فى شقة مكونة من خمس غرف.

كان متوسط دخل أحمد لا يزيد عن خمسة وعشرين جنيها فى الشهر، وقد ينخفض قليلا أو يزيد قليلا.. وفى حدود هذا

زوجة أحمد

المبلغ لم أكن أستطيع أن ادفع ايجارا لشقة أكثر من اربعة جنيهات.. أو خمسة جنيهات على الأكثر.. ثم انى لم اكن أستطيع أن أستأجر طباحا وسفرجى وخادمة.. كنت أعلم انى سأتولى شغل البيت كله بنفسى.. أطبخ وأكنس بيدي، فلو عشت فى شقة مكونة من خمس غرف قأنى سأتحمل عبئا كبيرا فى تنظيفها والأشراف عليها.. وتركت أمى وشقيقتى يبحثن كما شئن عن شقق فاخرة.

واتفقت مع أحمد على أن نبحث وحدنا عن شقة صغيرة ورخيصة.. وبنت ناس!

وكانت الحرب قائمة والشقق نادرة، ولكن بعد أسابيع استطاع أحمد أن يتفق مع أحد أصدقائه على أن يتنازل له عن شقته بلا مقابل وهى شقة صغيرة.. صغير جدا.. مكونة من حجرتين فقط والمطبخ والحمام.. وإيجارها ثلاثة جنيهات ونصف.. وموقعها فى حى عابدين قريبا من ميدان الازهار.

وكل ما حرصت عليه وأنا اتفرج على هذه الشقة، أن اتأكد من أنها صحية، وانها نظيفة، وأن جيرانها ناس شرفاء.. وقد تأكدت من كل ذلك، ثم اكتشفت فيها ميزة أخرى وهى قربها من مكتب أحمد ومن «البلد» مما يوفر علينا مصاريف الانتقال.

ورضيت بهذه الشقة.

واستأجرها أحمد

ولم تكن عائلتى قد علمت بخبرها بعد.. فبدأت امهد لإلقاء القنبلة.. وعندما ألقيتها انفجرت أمى باكىة وقالت: إنها لم تكن تنتظر أن تعيش إلى أن ترى ابنتها تقيم فى عشة فراخ.

زوجة أحمد

وامتعضت شقيقتى، وعاد أبى يخاصمنى . ولكنى صممت على رأى . وقلت لهم بصراحة أن أحمد ليس غيبا، وأنى لا أستطيع أن أكلفه أكثر مما يطيق وإلا ارتبكت حالتنا.

وهنا قال أبى إنه قرر أن يخصص لى عشرين جنيها فى الشهر ليعيننى فى حياتى الزوجية، ولم أرفض المبلغ.. إنما رفضت أن أخذه.. وطلبت من والدى أن يضع لى فى البنك هذه العشرين جنيها كل شهر، ولكنى لن أمد يدي إليها، إلا إذا حدث مكروه وسأحاول أن أعيش فى حدود دخل أحمد.

ويبدو أن أبى قد أعجب بعنادى وتفكيرى، فوعد بأن يضع لى هذه العشرين جنيها فى البنك كل شهر.

وبدأت أوثث الشقة الجديدة.. وطبعاً أعدت دهانها، ثم انتقيت أثاثها من «الكتالوجات» قطعة قطعة، حتى تتناسب مع ضيق المكان، وتضفى الجو الأنيق الذى أحبه.

ولم يكلفنى الأثاث كثيراً.. ولكنى افترطت فى شراء «اللينو» والثياب.. صرفت كل ما أخذته من أبى فى شراء قمصان نوم وثياب داخلية وعطور... الخ

كنت أعلم أن أحمد يتزوجنى أنا، لا الشقة، فصرفت على نفسى أكثر مما صرفت على الشقة!

ولكن هل كنت افعل ذلك لو لم أكن أحب أحمد؟

أنى أذكر أيام تزوجت شقيقتى.. وكل منهن تغالى فى طلباتها، وتشترى اطقم الاوبيسون والمذهب جاهزة.. وتصمم على أن «تدخل» فى شقة كبيرة.. وأن تقدم لها شبكة غالية.. ويقام لها فرح زايط. الخ

زوجة أحمد

إن كل هذه الأشياء تبدو تافهة في نظري.
لا لشيء . إلا لأنى أحب أحمد . وقد استغنيت بحبه عن كل
شيء.. لا أريد إلا أن أكون معه، كما يريدنى!
وتزوجت أحمد

واحتفلنا بعقد القران والزفاف فى حفلة شاي أنيقة دعى
إليها أفراد الاسرتين خاصة الاصدقاء.. لا موسيقى ولا عوالم
ولا تعاليق . ولا زحام.. كانت فرحتى بأحمد تغينى عن كل
ذلك!

ولم تتكلف هذه الحفلة أكثر من ثلاثين جنيها، واشترى
أحمد صوان الملبس وزجاجات الشربات كما تقضى التقاليد .
ولم نشتر «علب ملبس» لنوزعها على المدعوين، وفضلت أن أوفر
ثمنها، وأعطانى أبى مائة جنيه هدية.. قال عنها انها «بدل
عوالم» أما شقيقتى وصديقتى فقد أهدتنى كل منهن هدية بعد
أن اتفقت معهن عليها، وكانت كلها أشياء أحتاج إليها فى بيتى.
وخرجت أنا وأحمد بعد حفلة الشاي، وذهبنا إلى
مينهاوس، وكنت لا أزال بثوب العرس بعد ان رفعت الطرحة..
وهناك تناولنا العشاء ورقصنا.. لم أحس بالموسيقى.. ولا
بالرقص.. ولا بالناس، ولكنى كنت أحس أنى بين ذراعى
زوجى .

وفى منتصف الليل كنا فى بيتنا..

وأصبحت لأحمد..

ولا أستطيع أن أذكر هذه الأيام، إلا وأذكر ان شقيقتى
الكبرى جاءت تزورنى بعد يومين من زواجى، ووجدتنى فى

زوجة أحمد

الفراش مرتدية قميص نوم من الموسلين الطبيعى وفوقه روب ديشامبر من الكريب دشين الطبيعى، والقطعتين من أغلى واثمن قطع «اللينو» التى أشتريتها.. فثارت أختى ونصحتنى ألا ارتدى هذه الثياب إلا عندما أبدو بها أمام الزائرات، فهذه القطع الغالية يحتفظ بها للمظاهر وللتباهى أمام الناس.. وعارضتها وقلت لها أنى أشتريت كل ثيابى لأبدو بها أمام زوجى وأنه لا يهمنى أن أبدو جميلة أمام الناس قدر ما يهمنى أن أبدو جميلة أمام أحمد.. وينفلق الناس.. ليقولوا أى شىء.. ولكن كل شىء أشتريته سأستعمله لأمتع به نفسى وزوجى!

كنت أعلم أنى تزوجت بمحض رغبتى، بل أنى تزوجت رغما عن عائلتى.. وكان معظم أفراد العائلة يقدرون الفشل لهذا الزواج، نظرا للظروف التى تحيط بزواجى، وكان أبى قد أقر زواجى إزاء عنادى وإصرارى دون أن يكون راضيا عنه.

كنت أعلم كل ذلك، وكنت أعلم أيضا أنى وحدى التى اتحمل مسئولية سعادتى الزوجية.. لا أستطيع أن ألوم أحدا إذا لم أسعد، أو إذا فشل زواجى.

وقررت أن أحمل هذه المسئولية كلها..

صممت على أن أصون سعادتى مهما كلفنى الأمر.

وكان أول قرار اتخذته بينى وبين نفسى، هو ألا أشكو لأحد، ألا أسمح لأحد بأن يتدخل بينى وبين زوجى، مهما كانت مكانته.. لا أمى.. ولا أبى.. ولا شقيقاتى.. ولا أمه.. ولا أبوه.. ولا أشقاؤه.. ولا أصدقاءه.

وهذا ما حدث.. وحتى اليوم - أى بعد مرور خمسة عشر عاما على زواجى - لم يسمع منى أهلى شكوى واحدة، ولم ير

زوجة احمد

الناس من حياتى الزوجية إلا ابتسامة لا تفتر.. وقد كافحت طويلا لأحتفظ بهذه الابتسامة.

كان الشهر الأول قد مر كالسكر المذاب.. كنت سعيدة، سعيدة.. غاية السعادة.. لم أكن أدري بشيء مما فى الدنيا ولم تكن هناك مشكلة بينى وبين زوجى.. بل لم يكن بيننا موضوع يمكن ان يؤدى إلى مشكلة.. كان كل ما فى حياتى خلال هذا الشهر.. قبلات احمد.. وذراعاها.. وحبه وحنانه.. وفرحتى به وفرحته بى..

ومر هذا الشهر الجميل اللذيذ.

وابتداء من الشهر الثانى بدأت أكافح فى سبيل سعادتى.. بدأ احمد يتغير.. أصبح عصبيا أكثر مما عرفته، وبدأت تصرفاته تشذ عن المألوف.. كان يثور لأسباب تافهة.. وأصبحت مواعيده غير منتظمة.. كنت انتظره أحيانا حتى الساعة الرابعة بعد الظهر دون ان اتناول غدائى وأحيانا كان يعود بعد منتصف الليل ويتركنى وحدى وليس معى أحد فى الشقة فاذا سألته: اين كان؟ اجاب باجابات مبتسرة سريعة لا تفسر شيئا ولم أقابل ثورات احمد بثورات مثلها، ولم أقابل تصرفاته الشاذة بتصرفات أكثر شذوذا، انما تحملت فى هدوء.

أخذت أسأل نفسى عن سر تغير احمد.. واستعنت بذكائى كله لأحلل نفسيته وأبحث له عن الأعذار، والأسباب التى يمكن أن تغيره.

لم أحاول أن أتهمه فى عواطفه نحوى، ولم أفكر - حتى بينى وبين نفسى - فى أن حبه لى قد فتر.. وأصابه برود.. كان

زوجة أحمد

إيماني بصدق حبه، وإخلاصه لى، فوق مستوى الشك.. وكان
هذا الإيمان هو حياتى، فان فقدته فقدت الحياة..
كان يجب أن أجد سببا لتغير أحمد..
ووجدت السبب..

إن أحمد لا يزال فى خطوته الأولى.. لا يزال يضع الاحجار
الأولى فى بناء مستقبله.. والرجال فى هذه المرحلة يبذلون
كثيرا، ويعانون كثيرا ويصدمون كثيرا.. إلى حد أن تنسيه
المعركة - معركة الحياة - الكثير من واجباته نحو بيته، وتستولى
على الكثير من حقوق بيته عليه.

إن أحمد يعانى فى سبيل مستقبله.. ويجب أن أعانى معه.
فمستقبله . هو مستقبلنا.. كل خطوة يخطوها، أخطوها
معه . وكل قرش يضيفه إلى دخله نصرفه نحن الاثنين.. وكل
نجاح يحرزهُ هو نجاح لزوجنا

وقررت أن أكون - فى هذه المرحلة من حياتنا - ممرضة
لأحمد.. ممرضة نفسية.. واعتبرت أن ثوراتهِ وتصرفاته الشاذة
هى الجروح التى يعود بها إلى من ميدان المعركة.. ميدان
العمل.. الجروح التى يجب أن أعالجها وأضمدها بحرص
وعناية.. وذكاء!

وكان أكثر ما يعانىهِ أحمد فى هذه الأيام هو إحساسه بأنه
لا يكسب من عمله ومن جهده ما يكفى ليجعلنى أعيش فى نفس
المستوى الذى كنت أعيش فيه وأنا فى بيت أبى.. وفى مستوى
كثير من أصدقائه المتزوجين.

وانقلب هذا الإحساس إلى الشعور بالنقص.. شعر بالنقص

زوجة أحمد

حتى أمامي. ودفعه هذا الشعور إلى أن يقول لي يوما في
لهجة حازمة كأنه يتحدثني:

أسمعي.. أنا مش عايزك تصرفي في البيت، ولا على نفسك
مليم واحد من الفلوس اللي بتاخديها من أبوكي . لازم تعيشي
على فلوسي أنا، وإذا ما قدرتيش تعيشي بيها يبقى معناها اننا
مش حانقدر نعيش مع بعض .

واجبته في هدوء .

حاضر!

واستطرد أحمد:

وإذا كان أبوكي مصمم يديكي فلوس.. يبقى الفلوس
تشيلها في البنك.. ولا في أي حته.. ما فيش مليم ينصرف في
البيت ده إلا من فلوسي أنا..

وقلت وأنا ابتسم كأني أشعره بإعجابي به:

حاضر!

ولم أناقشه، ولم أحاول ساعتها أن أدرس معه تفاصيل
حياتنا، ولكني صبرت يومين، ثم قلت له في ساعة هدوء وحب:

تعرف اني زعلانة منك.. ديك النهار وانت بتكلمني قلت: إذا
ما كنتش أقدر أعيش بفلوسك يبقى مش حانقدر نعيش مع
بعض.. ما تقولش كده تاني يا أحمد.. احنا حنفضل عايشين
مع بعض لغاية ما نموت.. وبعد ما نموت حاتوسطلك عند ربنا
علشان يدخلك الجنة معايا.. مش عايزاك تقول كده تاني أبدا .
ما تفكرش التفكير ده أبدا.. الكلمة دي مش عايزه اسمعها منك
لغاية ما اموت.. فاهم!

زوجة أحمد

وقال أحمد وكأنه خجل من نفسه:
حاضر!

ثم ضمّني إلى صدره كأنه يحتّمى بي من نفسه.
وقد كنت مخلصّة عندما وعدت أحمد بالأقرب مليما واحدا
من نقود أبي.. كنت مخلصّة فعلا.. وقررت أن أعيش وأصرف
على البيت، من دخله الذي لا يزيد عن خمسة وعشرين جنيها
فى الشهر.

كيف استطعت ذلك؟

كانت المعاملة المالية بينى وبين زوجى أحمد - فى أول
زواجنا - يحوطها إحراج شديد.. فقد كنت أخجل من أن أطلب
منه شيئا.. وكان هو من جانبه لا يدرى كيف يحدد ميزانية
البيت.

ولم أحاول أن أجبره على نظام معين لمعاملتنا المالية، بل لم
أحاول أن أعرف كم جنيها يكسب فى الشهر.. إنما تركته
يتصرف.. ويتخبط.. ويخطئ.. وبذلت كل جهدى فى الشهور
الأولى لاكسب ثقته كست بيت مدبرة!

وقد حاول أحمد أن يحتفظ بمصروف البيت فى يده.. كان
يتولى هو دفع اجرة الشقة، ومكافأة البواب، وثمان النور،
وحساب المكوجى والبقال.. الخ.. ثم كان يعطينى جنيها لنفقات
الطعام.. وقد استنتجت أنه قرر بينه وبين نفسه أن يكفينى هذا
الجنيه لمدة يومين.. فحرصت على أن أصرف الجنيه فى ثلاثة
أيام، أو على الأقل فى يومين ونصف.. وبذلك أصبح معى دائما
«فائض مصروف» أو احتياطى صغير أدخره للملمات.

زوجة أحمد

وكان أحمد قد خصص لنفسه «نوته» صغيرة يقيد فيها إirاده ومصرفه، وكنت أراه ينزوى بهذه النوته فى ركن بعيد ويأخذ فى تقييد أرقامه وعلى وجهه سحابة من الضيق والحيرة.. فلم تكن من طبيعة أحمد المحاسبة، ولم تكن عقليته تحتل الأرقام.. ورغم ذلك لم أحاول أن اتدخل فى شئونه ولم أحاول أن أعينه فى ارتبأكه، إنما تركته حتى «يزهق» ويعترف بلخمته.

وقد «زهق» أحمد سريعاً.. وبدأ يعطينى خمسة جنيهات كل دفعة.. بدلاً من جنيهه.. وترك لى أن أدفع حساب المكوجى والبقال وبائع الصحف.. ثم بعد قليل.. ترك لى أن أدفع أجرة الشقة ومكافأة البواب.. وشيئاً فشيئاً أصبح أحمد يعطينى كل ما يكسبه، وأخصص له أنا مصرفاً لجيبه. وكنت أضحي بأى شىء فى سبيل أن أحتفظ لأحمد بمصرف جيبه.. فهذا «المصرف» لا يتعلق بمتعة أحمد وحقه فى «البعزقة» ولكنه يتعلق باحترامه ومكانته بين أصدقائه، ويتعلق بشعوره بالكرامة كرجل.

وكل هذا التطور فى المعاملات المالية بينى وبين أحمد.. لم يتم إلا بعد أن وثق بى أحمد.. كست بيت مدبرة. ومنذ بدأ أحمد يعتمد علىّ فى موازنة ميزانيتنا الصغيرة، أعددت دفترًا للحساب، أقيد فيه كل قرش أخذه منه، وكل قرش أصرفه.. ثم أجمع وأطرح كل مساء، وأجن إذا وجدت قرشاً واحداً ضائعاً لم أقيده.. ولا أنام حتى أتذكر أين صرفت هذا القرش!

وكنت أعرض هذا «الدفتر» كل مساء على أحمد، وأجلس

زوجة أحمد

بجانبه وهو يراجع حسابى ويطمئن إلى حسن تدبيرى.. ثم أتلقى منه قبلة كبيرة يهتئى بها على نجاحى!.

وكان أحمد فى أول الأمر يدقق فى مراجعة دفتري، ويهتم بكل رقم فيه.. ثم بدأ يراجع مراجعة عامة.. ثم أصبح لا يراجع.. ثم لم أعد أعرضه عليه.. وأصبحت وحدى المتحكمة فى كل ميزانيتنا..

وهكذا كل الأزواج - على ما أعتقد - عندما تصونين حقوقهن، يتنازلون عنها، وعندما تهملين حقوقهم يطالبون بها. وطبعاً كنت أنا التى أتولى أعمال البيت بنفسى فى هذه المرحلة من حياتنا.. كنت اطبخ وأغسل وأكنس، وأنزل أحياناً إلى السوق لأشتري اللحم والخضار.. ولم أكن استنكف من أن أقوم بأى عمل مهما كان شأنه.. فهو بيتى.. وهو زوجى.. وكل ما هناك هو أنى رفعت مكافأة البواب إلى اثنين جنيه فى الشهر.. ليساعدنى فى بعض الأعمال التى لا يتسع وقتى لأؤديها بنفسى.

ورغم ذلك كان أحمد سعيداً..

لم يشعر بأى شىء ينقصه..

ولم يشعر أنه أقل من غيره فى حياته..

كيف حدث هذا؟

قلت إنى كنت أقوم بأعمال البيت كلها بنفسى.. كنت أكنس وأمسخ وأطبخ وأغسل.. ولكنى لم أكن أسمح لزوجى بأن يرانى وأنا أقوم بكل هذه الأعمال. خصوصاً عندما أكنس أو أمسخ أو أغسل.. كنت لا أبدأ إلا بعد أن يخرج، وفى الأيام التى كان

زوجة أحمد

لا يخرج فيهما إلى عمله، كنت لا أفعل شيئاً في البيت إنما اکتفی بإعادة ترتيب الفراش «وتنفيض» قطع الأثاث «تنفيضاً» خفيفاً.. وذلك لسببين:

السبب الأول.. إنى أحب أن أفرغ لزوجى ما دام فى البيت.. انها متعة له ولى!

والسبب الثانى.. إنى أحب أن يرانى زوجى دائماً ناعمة رقيقة رشيقة انيقة، فى قمة انوثتى.. ولا أحب أن يرانى وأنا أودى الحركات العنيفة التى يقتضيها الكنس والمسح.. ولا أريد أن يرى يدي التى يقبلها فى ساعات نجوانا وهى مغموسة فى الصابون والزهرة ساعة الغسيل.

وقد تخالفنى بنات الجيل الجديد فى هذه النظرية.. انهن فى تطلعهن إلى المساواة بالرجل يضحين بكل شىء حتى نعومتهم ومظاهر انوثتهم.. ويصمن أن يكن لازواجهن بمثابة صديقات لا إناث عاشقات، فلا يجدن غضاضة فى أن يراهن أزواجهن وهن «ملغمطات» الوجه «منعكشات» الشعر.. ما دام هذا هو واقعهن فى الساعة التى يقبل فيها الزوج.

أنا لا أومن بهذا الكلام.. وأنا لم اشعر يوماً انى أقل من زوجى احتراماً أو مكانة أو حقوقاً فى البيت، وأنا أيضاً من انصار المساواة بالرجل، ولكن هذه المساواة يجب أن تقف عند حد احتفاظى بانوثتى واحتفاظى بكل هذه الانوثة وكل رقتها. وعندما احتفظ بأنوثتى ورقتى فانما احتفظ لزوجى برجولته وبإحساسه بمسئوليته نحوى..

ونعود إلى أعمال البيت..

لقد واجهتنى مشكلة الطبخ.. ولم أكن طبخة ماهرة

زوجة احمد

بل إنى فى الواقع كنت أكره دخول المطبخ قبل زواجى، وكان وقوفى أمام وابور الجاز بمثابة وقوفى أمام باب جهنم. ولكنى عشقت المطبخ بعد الزواج.

وقد استعنت أول الامر - كبقية الزوجات - بكتاب السيدة نظيرة نقولا فى فن الطهو.. ولكنى وجدت أن معظم الاصناف الواردة فى الكتاب كلها أصناف معقدة وتكلف غاليا.. وأنا لا أحب التعقيد، وكما أن ميزانية البيت لا تحتل كل هذه النفقات، فقد كنت قررت ألا تزيد نفقات الطعام عن عشرين قرشا فى اليوم - للغداء والعشاء - غير نفقات الخزين.

وتوصلت بعد تفكير وبعد عدة تجارب قاسية إلى نظرية لا بد أنها نظرية قديمة معروفة.. هذه النظرية تقول: «ليس المهم هو صنف الطعام، ولكن المهم هو طريقة تقديمه».

وبدأت أخصص تسعة اعشار جهدى للاعتناء بطريقة تقديم الطعام، والعشر الباقى لطهو الطعام!

بدأت بالمطبخ نفسه.. فجعلته أنيقا نظيفا مريحا لا يقل عن أى غرفة أخرى فى المنزل أناقة ونظافة.. حتى يفتح نفسى للوقوف فيه.

وبدأت أهتم جدا بإعداد المائدة، فلم تكن تقل بحال عن أى مائدة فى أى قصر منيف.. الأطباق والشوك والسكاكين والملاعق، والمفرش الزاهى المكوى دائما.. والفوط التى اتفنن فى طريقة طيها.. بل إنى كنت أصمم على أن أضع أمام كل منا كوبين: كوبا للماء، وكوبا لعصير الطماطم.. وعندما كان يرتفع ثمن الطماطم كنت استعويض عنها بعصير الليمون، أو أى عصير.. وكنت أمر على بائع زهور فى حى عابدين كل صباح

زوجة أحمد

واشترى وردة أو زهرة واحدة بنصف قرش، اضعها فى اهمال جميل فى منتصف المائدة.. ولم أكن أستقبل زوجى أبدا ساعة الغداء إلا فى ثوب كامل.. وإذا كانت هناك مشكلة بينى وبينه كنت أوجل بحثها والكلام عنها إلى ما بعد الغداء.

واحس زوجى أنه لا يقل عن اصدقائه الأغنياء، وأن بيته لا يقل عن بيوت شقيقاتى.

ولكن ما هو الطعام الذى كنت اقدمه.

لقد قررت أن تكون جميع اصناف الطعام التى أعدها اصنافا بسيطة، سهلة، لا تلخمنى ولا تضيع وقتى.

وقررت أيضا ألا تزيد الاصناف التى اعددها للوجبة الواحدة عن صنفين.. وكانا غالبا: صنف من اللحم - وكنت أفضل اللحم المشوى - وبجانبه بعض الخضار المسلوق.. ثم طبق ارز، أو طبق مكرونة

وكنت أحسب «الشورية» صنفا من الصنفين.. فاليوم الذى اعد فيه «شورية» استغنى عن طبق الارز والمكرونة.. وبجانب هذين الصنفين اعد دائما كمية كبيرة من السلطة الطازجة.. الخس، أو الخيار والقوطة، والجزر، والفجل الرومى.. الخ

ولاشك انه كان غداء صحيا خفيفا، خصوصا ان احمد كان يعود الى مكتبه بعد الظهر، وكان يجب ان يعود نشيطا خفيفا غير مثقل بأبخرة الملوخية والشركسية.

واعترف أنى كنت مقتررة فى إعداد الطعام.. كنت لا اشترى إلا ما يكفيننا نحن الاثنين بالتمام بحيث لا يفيض منا شىء.. اللحم كنت اشتريه بعد أن أحسب حساب ما نحتاج إليه بدقة..

زوجة أحمد

نصف رطل «مشفى» لنا نحن الاثنين.. وكنت أجن إذا فاض منا شيء.. رغيف أو قطعة لحم أو طبق أرز.. ولم أكن أدري كيف اتصرف فى هذه الفضلات، فانى لا أحب أن ابقى شيئاً من الطعام المطهو لليوم التالى.. حتى لو كانت «بامية».. وطبعاً كنت أعطى هذه الفضلات للبواب، ولكنى كنت اعطيها له وأنا خجلة، كائى كنت أجرح بها كرامته.. خصوصاً انى عودته الا ينتظر منى فضلات الطعام، بل كنت اكافئه على خدماته بالنقود.

وهذا الاسلوب فى الحياة لا يسمى «بخلاً» ولكنه يسمى «تديراً».. وصدقونى، ولا تسمعوا كلام الناس!

ورغم كل هذا التدبير، كانت تمر أيام «تخسع» فيها الميزانية واحس اننى لو وازببت على شراء اللحم والأصناف المعتادة.. فسأضطر أن أوفر ثمن تذاكر السينما.. وأنا وأحمد نحب السينما بل انى افضل ألا اتناول عشائى وأذهب إلى السينما.. فى هذه الايام كنت اشترى علبة سردين.. واربع بيضات.. واعد طبق السلطة المعتادة.. أى انى كنت الجأ إلى «التهيف» وكنت «اهيف» يومين فى الاسبوع!

ولكنى فى هذين اليومين كنت اعتنى أكثر وأكثر بطريقة تقديم الطعام.. كنت افتح علبة السردين، وأصفف شرائحه فى طبق كبير وأحيطها بأوراق الخس أو الجرجير فتبدو كأنها شرائح من «السومون» الغالى الذى يقدم لأصحاب الملايين.. وكنت أقطع البيض فى دوائر صغيرة أضع فوق كل دائرة منها «زيتونة».. و.. و.. إلى آخر أشكال التقديم التى كنت أرى صورها فى المجلات الأجنبية

ولكن أحمد كانت له فصول باردة.. كان يفاجئنى أحياناً

زوجة أحمد

باصطحاب صديق من أصدقائه ودعوته إلى الغداء أو العشاء دون أن يخبرنى بذلك مقدما.. وعبثا حاولت أن أبطل هذه العادة فى أحمد، فقد كان كريما يحب أصدقاءه.. وكان من الصعب ان اسجنه فى حدود نظام معين.

فى هذه الاحوال كنت الجأ إلى الفول والطعمية - ودكان «أبوظريفة» كان يجاور بيتنا - وكنت أهتم بتقديمها فى شكل أنيق جدا وأشيع حولها جوا مرحا.. بحيث يقبل الضيف عليهما - على الفول والطعمية - كأنه يقبل على ديك رومى . ولا أدري لماذا تصر ستات البيوت، على أن الفول غذاء للافطار فقط.. إنه غذاء لكل وجبة.

وعلى هذا الأساس سرت فى تنظيم ميزانيتى.. ولكنى بعد أربعة أشهر فوجئت بمشكلة أخرى.. فرغم كل الاحتياطات المعتادة، شعرت أنى حامل.

لقد أكد لى الطبيب الخبر..

أنى حامل..

وكان شعورى الأول، هو شعور الفرح . ولا أدري لماذا فرحت، ربما لأنى أحسست بأنى زوجة كاملة.. زوجة تستطيع أن تكون اما . لا تحرم زوجها من شىء.. ولأنى أحسست أيضا بأن أحمد زوج كامل.. يستطيع أن يكون أبا.. ولا يحرمنى من شىء!

وصاحب فرحتى شعور بالزهو.. وشعور آخر يانى كبرت وعقلت وأصبحت أحمل مسئولية ضخمة وقد تضخم إحساسى بالمسئولية حتى بدأت تتلاشى فيه فرحتى.. ثم انقلبت الفرحة

زوجة أحمد

إلى حيرة.

بدأت أولاً أفكر فى مستقبل المولود الذى سأرزق به..
المستقبل الذى يبدأ من يوم ولادته إلى يوم أن يصبح رجلاً أو
تصبح فتاة.. ثم بدأت أقدر إمكانياتى فى تدبير هذا المستقبل
وصيانتته.. بدأت أفكر فيه يوماً.. يوماً.. كأن السماء قد فتحت
لى نوافذها لأرى منها الغيب.

فكرت.. فكرت كثيراً . وكلما تماديت فى التفكير اقتربت من
القرار الخطير الذى كان يجب على أن اتخذه.. ووصلت إلى
القرار:

أننى لا أستطيع الآن أن أكون أما..

لا أستطيع.. فالبيت المكون من حجرتين لا يتسع لتربية
طفل.. والميزانية لا تحتمل مصاريف تنشئته.. تنشئة كاملة
صحيحة.. والأعباء المنزلية الملقاة على عاتقى لا تترك لى فراغاً
لأشرف على المولود كما يجب أن أشرف عليه، وسينتهى بى
الأمر إلى أن أهمل فى شئون بيتى أو أن أهمل فى شئون طفلى
وكلاهما مر.. ثم أن زوجى نفسه لم يستقر فى عمله، ولا فى
مستقبله، بل لم يستقر فى أخلاقه وتصرفاته.. فكيف أوفر
للمولود حياة مستقرة إذا كان أبوه نفسه غير مستقر.. وقد
سبق أن قلت فى أول هذه الذكريات، انى اعتبرت زواجى تجربة
يجب أن تنجح.. وأنا لا زلت فى دور «التجربة» ولا يجب أن
استقبل طفلى الأول إلا بعد أن أتأكد من نجاحها.

نعم..

يجب أن أجهض نفسى!

زوجة أحمد

وعندما وصلت فى التفكير إلى هذا الحد شعرت برعدة.. شعرت كأنى أفكر فى ارتكاب جريمة.. وبكيت.. بكيت طويلا دون أن أدع زوجى يرى دموعى.. ولكن البكاء لم يقنعنى بالابقاء على الجنين.. وكل يوم وكل ساعة كنت ازداد اقتناعا بما صممت عليه.. وكنت أقول لنفسى: إذا كانت جريمة فهى جريمة بيضاء.. جريمة سلبية أمتنع بها جريمة أكبر وأبشع إذا تركت طفلى يولد فى دنيا غير مهيأة له، ولا يتوافر لى فيها الإمكانيات الكافية للاعتناء به، وتربيته، واعداده للمستقبل الذى أريده له.

ولم أستطع أن أخبر زوجى فى مبدأ الأمر بما قررته.. كنت أخاف أن أجرح إحساسه وأثير كرامته. وأحاط بالبيت وجوم وذهول.. كان هو الآخر يبدو وكأن هناك شيئا وراء لسانه يريد أن يقوله ولكنه يخشى قوله..

كان هو الآخر قد وصل إلى نفس القرار الذى وصلت إليه، ولكنه كان يخاف غضبى وثورتى وخدش إحساسى.. وكان هناك شىء آخر..

فقد كان زوجى يخاف على حياتى من عملية الإجهاض.. وكنت أنا أيضا أخاف على حياتى من هذه العملية.. وكان الخوف يشتد بى أحيانا إلى حد أن أقرر العدول.. وشيئا فشيئا.. يوما بعد يوم.. ووسط هذه المشاعر العنيفة التى تجمع بين الحيرة، والشعور بالجرم، والخوف، والرغبة، والإحساس بالمسئولية.. بدأنا - زوجى وأنا - نتصارع بما فى قلبينا.. إلى أن أصبح الموضوع صريحا بيننا.

زوجة أحمد

واتفقنا على الاجهاض..
ومرت أيام عصبية عنيفة إلى أن تم كل شيء..
كيف؟

بعد أن انتهينا إلى قرار بالتخلص من الجنين الذى يتحرك
فى أحشائى، انتهى دور زوجى. لم يعد يستطيع شيئاً.. وكان
على أن اتحمل مسئولية جميع الإجراءات وحدى وقد تحملتها
فعلاً وحدى، رغم الخوف الذى كان يعتمل فى نفسى.. الخوف
على حياتى..

تحملتها وحدى لأنى كنت أعلم أن لا فائدة من إشراك
زوجى.. فى هذه الإجراءات.. لم يكن يستطيع أن يشير على
بشيء.. ولو انى لجأت إليه لازداد خوفاً على، ربما إلى حد أن
يعدل عن قراره..

وكنت أسمع عن كثير من الإجراءات التى تلجأ إليها بعض
السيدات لإجهاض أنفسهن.. أن أقف - مثلاً - فوق الدولاب،
واقفز على الأرض.. أو أدع الخادمة أو إحدى الصديقات تقف
فوق ظهرى و«تتنطط» عليه.. كما كنت أسمع عن كثير من
الوصفات البلدية، وعن بعض أنواع الحقن... و... الخ.

ولكنى لم أجا إلى إحدى هذه الوسائل..
كنت أعتقد أن اللجوء إليها بمثابة انتحار.
إنها خرافات.. خرافات تقتل!!

وقررت بينى وبين نفسى أن أجا إلى طبيب اختصاصى.. أنها
حياتى وصحتى وشبابى.. ولا يمكن أن أخاطر بحياتى بإلقاء
نفسى من فوق دولاب الملابس، أو أخاطر بها تحت اقدام

زوجة أحمد

خادمة.. غاية ما أستطيع أن أخاطر به.. هو أن أضنع حياتي بين
يدي طبيب اخصائي..

وكنت قررت الا أخبر احدا من أفراد عائلتي او من
صديقاتي بما انتويته.. كنت اريد أن احتفظ بكل شيء سرا
بينى وبين نفسي.. كنت اخاف ان يتدخل الأهل والصديقات
فيقنعوني أو يقنعون زوجي بالإبقاء على الجنين، خوفا على..

ولكنى عندما قررت أن أذهب إلى الطبيب، لم أستطع أن
أذهب وحدى.. كان الخجل والخوف اقوى من أن يدعاني انفراد
بهذه الخطوة واحترت لمن ألجأ. وأخيراً لجأت إلى أختي..
وثارت أختي لم تقتنع بكل أسبابي وحججي. وهددتني بأن
تفشي سري وتبلغه إلى أبي وأمي.. ولكنى ألححت عليها..
توسلت وبكيت.. ثم هددت بأن ألجأ الى الوسائل البلدية.. الى
أن رضيت أختي أخيراً إزاء عنادى - وخوفا على - أن تذهب
معى إلى الطبيب .

ذهبنا أولاً إلى طبيب العائلة، فرفض إجراء العملية.. وثار
فى وجهى كما ثارت أختي، وحاول كثيراً إقناعى بالعدول عن
رأى..

وذهبنا بعد ذلك إلى ثلاثة أطباء نعرفهم.. ورفضوا جميعاً..
وهم معذورون، فالقانون يحتم عليهم أن يرفضوا.. وأخيراً
ذهبنا الى طبيب لا نعرفه، ولكننا سمعنا عنه.. طبيب كبير ماهر،
رضى أن يقوم بإجراء العملية، ولكنه اشترط أن أحصل على
شهادة من طبيب باطنى بأن صحتى لا تحتل فترة الحمل
وعملية الوضع، كما اشترط أن يوافق زوجي على إجراء العملية
كتابة..

زوجة أحمد

وهنا اضطررت أن ألبأ إلى زوجى.. فكتب خطابا يوافق فيه على إجراء العملية.. ثم أخذنى الى طبيب شاب من أصدقائه، فحصنى فحسباً سورياً، ثم كتب شهادة بأن صحتى لا تحتل فترة الحمل..

وعدت إلى الطبيب الكبير ومعى أختى.. وأجريت العملية.. لم تستغرق أكثر من عشر دقائق.. استرحت بعدها حوالى الساعتين فى عيادة الطبيب، ثم عدت الى بيتى مريضة.. ضعيفة.. منهكة.. وبقيت أختى معى ليلتها..

وبعد أسبوع كنت قد استرددت صحتى وعافيتى.. ولكن ظل فى نفسى شىء كالندم أو الحسرة.. شىء كان يدفعنى أحياناً إلى البكاء.. كائن أبكى ابنى الذى فقدته.. هذا الشىء الذى لا يزال يتحرك فى نفسى أحياناً حتى اليوم ولازلت حتى اليوم اذكر جنينى الأول.. ولازلت أقول لزوجى كلما تذكرته «لو كنا تركناه.. لكان اليوم فى الخامسة عشرة من عمره..»!

نسيت أن أقول إن زوجى اقترض عشرين جنيهاً لندفعها اجرا للطبيب.. ولم يكن يعلم يومها أن الطبيب تناول خمسين جنيهاً.. وانى أخذت الباقي من رصيدى الخاص الذى كان يودعه لى والدى فى البنك..

إنها كذبة صغيرة اضطررت إليها حتى لا أجرح إحساسه.. وقد صارحته بها بعد ذلك بعامين!

لا أعتقد أن الحياة الزوجية يمكن أن تمر هادئة سعيدة كالحلم الجميل.. من المستحيل أن نأمل فى مثل هذه الحياة..

زوجة أحمد

بل انى أعتقد أن السعادة لا تتحقق إلا من خلال «المنغصات»
وأن أحلى ابتسامة هي التى تعقب انهمار الدموع، وأن أجمل
قبلة هي التى تقع فوق شفاة «مبوزة» فتتك «تبويرتها»!!

وقد قلت إن زوجى أحمد كان فى خلال السنوات الأولى من
زواجنا.. السنوات التى كان يكافح فيها الحياة ليبنى مستقبله
كان يتصرف تصرفات شاذة، وكان يفقد كثيرا أعصابه، وكنت
أعالج هذه الحالات كما تعالج الممرضة الذكية نوبات المرض
والآلم التى تنتاب مريضها العزيز..

ولكنى وجدت نفسى فى إحدى المرات مضطرة إلى أن
أفتعل «خناقة» وأن أسعى لإثارة زوجى حتى أفقده أعصابه..

كان أحمد قد عاد من مكتبه فى المساء «وبوزه شبرين». كان
يزفر وينفر، وكانت علامات الضيق واليأس تبدو واضحة على
وجهه.. ولكنه لم يتكلم.. سألته: «مالك؟» فلم يرد.. وألححت فى
السؤال فأجاب فى حدة «مالكيش دعوة.. سيبينى!» واضطرت
أن أسكت..

وظل أحمد ساكنا..

وطال السكوت بيننا، وأحمد يزداد تجهما، ويزداد بأسا
حتى خيل إلى أنه يريد أن يبكى.. كنت أحس أنه يتألم ويتعذب
عذابا كبيرا، وكنت أبحث عن وسيلة أخفف بها ألمه وعذابه، فلم
أجد وسيلة إلا أن أدفعه إلى الانفجار..

نعم. كنت أريد لأحمد أن يثور.. أن تنتابه نوبة أشبه
بالجنون، لعله بعد ذلك يفرج عما فى نفسه.. ويطلق أبخرة الألم
والعذاب التى تزدهم فى صدره..

زوجة أحمد

وبدأت أغبطه..

أخذت أغنى أغنية أعرف أنه يكرهها، وكنت أغنيها بصوت
مائع فيه دلال مفتعل لا يحتمله أحمد..

وقال أحمد فى هدوء:

- من فضلك أسكتى!

قلت فى تحد:

- عجيبة.. كمان الغناء حرام..

واستطردت أغنى.. فصرخ أحمد فى وجهى:

- باقولك أسكتى.. مش عايز أسمع صوتك..

وهزرت كتفى، وسكت عن الغناء.. وانتظرت أن يثور أحمد

بعد ذلك.. أن يفعل أى شىء.. أن يشتمنى.. أن يضربنى.. أى

شىء يفجره ويخفف عنه.. ولكنه عاد إلى صمته، وإلى ألمه

وعذابه.. يزفر وينقر.. وعدت أغبطه من جديد..

أخذت أنقر على المائدة بأصابعى، نقرات منتظمة، كأنى أنقر

على رأسه الملتهب..

وصرخ أحمد..

- بلاش خبط.

قلت وأنا أرد صرخته بصرخة أعلى منها:

- يا أخى أنا حرة.. أخبط زى ما أنا عايزة.. حد شريكى..

وعدت أنقر على المائدة بأصابعى.. وعاد أحمد يقول وهو

يغالب أعصابه النائرة:

- من فضلك.. أرجوكى.. بلاش خبط..

قلت وكأنى أسخر منه:

زوجة أحمد

- لا.. حاخبط..

وعدت أنقر بأصابعي..

ونظر إلى أحمد بعينين غريبتين، كأنه مجنون.. ثم قام من على مقعده وأخذ يطوف بالحجرة.. وأنا لازلت أنقر بأصابعي.. وفجأة رفع بيده «طقم التواليت» وحطمه على الأرض.. وهو يصيح ويصرخ كأنه المجنون..

ولم أسمع شيئاً من صراخ أحمد.. ولكنى نظرت إلى طقم التواليت المحطم وأنا كالذهولة.. لم أكن أنتظر أن تصل ثورة أحمد إلى هذا الحد. كان هذا الطقم هدية من أختي، وكان من أعز ما أملك..

وبكيت.. بكيت فى حرقة!

وعندما رأى أحمد دموعي هداً.. وافاق إلى الخسارة التى سببها بثورته.. فجاء إلى يأخذنى بين ذراعيه ويعتذر لى.. ثم بدأ يروى لى سبب ألمه وعذابه، وهى أسباب متعلقة بعمله.. وانفرجت أساريره.. وعاد يفكر فى مستقبله بهدوء..

إنى اليوم عندما أقيس بين تضحيتى بطقم التواليت، وبين نجاحى فى إعادة الهدوء إلى زوجى، والتفريج عن عذابه الذى كان يمكن أن يتطور إلى نكبة.. أفضل أن اضحى بألف طاقم مثل طاقم التواليت هذا..

هل أستطيع أن أتحدث عن «الموضوع الخاص» الذى يربط كل زوجين؟!

أظن أنى مادمت قد وعدت بأن أكتب عن أسباب سعادتي الزوجية، فيجب أن أتحدث بصراحة - أن أقول كل شىء..

زوجة أحمد

خصوصا وان هذا «الموضوع الخاص» من أهم الأسباب التي قامت عليها سعادتي..

لقد كنا فى بدء حياتنا الزوجية، لا ننام!!
كان ليلنا كله حارا نشطا تنطلق فيه صواريخ حمراء
وخضراء وزرقاء..

كانت لهفة أحدهنا الى الآخر، لا تقتر، ولا تنتهى
كانت الايام الطويلة التى قضيناها فى حرمان قبل الزواج
قد اختزننت فى أعصابنا طاقة ضخمة من الشوق والرغبة..
حتى خيل إلينا أننا لن نشبع من بعضنا أبدا..

ولكن هذا الجنون كان لا يمكن أن يستمر.. وليس معنى هذا
أن حبنا قد فتر، أو أصبح حبا عجوزا.. ولكن معناه أن حبنا قد
هدأ.. اجتاز مرحلة الجنون والحرمان و«الفجعة» وأصبح حبا
هادئا «شبعان» .. يتناول وجباته فى تأن مما يتيح له متعة
أكبر..

ولم نكن نحدد مواعيد ثابتة لهذه الوجبات.. إن هذه المواعيد
المحددة تفسد التجاوب الروحى ، وتفسد الإحساس بالرغبة ..
وتجعلنا نشعر كأننا ندفع ضريبة مادية معينة يفرضها علينا
الزواج..

لا .. لم تكن هناك مواعيد محددة..
كنا نصحو أحيانا لياالى كثيرة متعاقبة..
وكنا أحيانا ننام لياالى كثيرة اخرى .. متعاقبة ايضا!
ولم تكن تكفى رغبة أحدهنا.. بل كان يجب أن تلتقى رغبتنا
نحن الاثنين فى وقت آخر .. وإذا لم تلتق رغبتنا يجب على

زوجة أحمد

واحد منا أن يكبت رغبته ويتحملها مهما بذل في سبيل تحملها من مجهود، احتراماً لشعور الآخر وإرادته.

وكانت تمر أسابيع طويلة وأحمد زوجي عازف عني.. لا يحاول أن يقربني، فلم أياس ولم أثر، ولم أدع أنايتي تسيطر على عقلي وتدفعني إلى تصور أوهام لاحقيقة لها .. لم أتصور أبدا أن أحمد لم يعد يحبني، ولم أتصور أن هناك امرأة تشاركني فيه وتستنفد حيويته..

كل ما كنت أتصوره أن متاعب أحمد في عمله تستحوذ على كل تفكيره.. وأن الرجل عندما يحصر تفكيره في عمله لا يبقى فيه شيء من طاقته الحيوية يمنحه لمتعة جسده .. حتى لو حاول في هذه الظروف أن يهرب من تفكيره ومن مشاكله فإنه لا يكون طبيعياً .. بل يكون مفتعلاً يبدو عليه الهرب.

ولذلك كنت أصبر .. أصبر حتى يأتي إلى أحمد بكل تفكيره، وبكل قلبه ، وبكل حيويته .. فأخذ منه ما يكفي، إلى أن يعود إلى مشاكله..

شيء واحد كنت أحرص عليه، ولم أتنازل عنه حتى يومنا هذا .. وهو أن أبدأ نومي بين ذراعي أحمد .. ذراعه تحت رأسي ورأسي فوق صدره .. ولم أنس أبدا أن أقبله قبلة المساء..

إن هذه القبلة - قبلة المساء - هي التي أعرف من خلالها حالته النفسية .. وأحدد على ضوئها إن كنت أصحو أو أنام ! ورغم ذلك .. رغم هذا الصبر الطويل.. فقد كنت أغار على أحمد..

زوجة أحمد

كنت أغار على زوجي..

كنت أثق به .. أثق في حبه، وفي خلقه، وأصدق كل كلمة يقولها لي .. ورغم ذلك كنت أغار عليه وأظن أن المرأة التي لا تغار على زوجها، لم تولد بعد!

ولكني لم أدع الغيرة تسيطر على أبدا، كنت كلما شعرت بالغيرة، كبت شعوري، وضغطت على أعصابي ثم أبدا .. بعد أن أهدأ - أفكر في التصرف الذي يجب على أن أتخذه..

وكنت قد قررت بيني وبين نفسي أن أدع أحمد يسهر ليلة أو ليلتين في الأسبوع مع أصدقائه.. كنت أعرف أن سهرات الرجال تختلف إختلافا كبيرا عن السهرات المختلطة التي تضم الرجال والنساء.. تختلف على الأقل في مواضيع الحديث.. فهناك مواضيع كثيرة يتحرج الرجال في مناقشتها أمام النساء.. كما أن هناك مواضيع أخرى يتحرج النساء في الخوض فيها أمام الرجال..

وكل رجل محتاج أن يقضى سهرة رجالي، لينفـس عن نفسه.. ليتكلم الكلام الذي لا يستطيع أن يتكلمه في حضور زوجة صديقه..

النكت الخارجية مثلا..

أنا لا أسمح لأحد من أصدقاء زوجي أن يقول نكتة خارجية أمامي.. وإذا قالها فإني لا أضحك لها مهما كانت براعة النكتة، بل أسكت سكوتا باردا، يرتد في صدر قائلها كالسكين.

ولكن ليس من حقي أن أحرم زوجي من سماع النكت الخارجية وتبادلها.. لذلك فإني أتركه يقضى بعض ليالي

زوجة احمد

الأسبوع مع أصدقائه..

وعاد زوجى من إحدى سهراته «الرجالي» بعد منتصف الليل.. وايقظنى بقبلاته.. وأخذ يروى لى تفاصيل سهرته مع أصدقائه.. ونمنا.

وفى الصباح، وعندما كنت اضع يدى فى جيبويه لأنقل حاجياته من بدلة الى بدلة تعلقت عينى بمنذليه..
لقد كان فى المنديل بقعة كبيرة من آثار أحمر شفاه، تلمع أمام عينى كأنها جذوة من نار..

وتصاعدت الدماء الى رأسى أحسست ان الدنيا تدور بى.. وان كتلا من الظلام تتجمع أمام عينى حتى لم اعد ارى شيئاً..

واستندت الى حافة الفراش، حتى لا اقع على الأرض.. وبدأت أقاوم نفسى.. أقاومها بكل ارادتى.. كنت أعلم اننى يجب ألا اتخذ اى اجراء وأنا فى هذه الحالة. حالة الغضب وحالة الغيرة العمياء، وأخذت أردد بينى وبين نفسى. «اللهم اخزيك يا شيطان.. اللهم اخزيك يا شيطان»!

وبعد قليل خرج زوجى من الحمام، وجاء الى الغرفة وهو يغنى..

ربما كان وجهى يبدو مصفرا، فقد سكت عن الغناء فجأة، وقال لى وهو ينظر إلى بكل عينيه.

— مالك؟!

وكأن وجوده بجانبى قد أعاد الى ثقتى بنفسى وبذكائى..
فقد استطعت أن أسيطر على أعصابى، وأن أبتسم ابتسامة

زوجة أحمد

كبيرة، وأقول وأنا أخفى المنديل وراء ظهري:

- تفكر لقيت ايه فى جيبك؟

قال ضاحكا: اتناشر قرش ونص!!

قلت: وحاجه كمان!

قال فى إخلاص: ايه؟

قلت: شفايف واحدة ست!

ثم لوحت بالمنديل أمام عينيه..

واضطرب وجهه.. وقال انه ذهب مع اصدقائه ليلة امس الى الأوبرج - وكان قد اخبرنى بذلك بعد عودته وان واحدا منهم أراد مداعبته فسلط عليه احدى الراقصات لتقبله فى خده، وهو يقول لها - أى للراقصة - «ده أخلص زوج فى مصر»!!

وقد قبلته الراقصة، ومسح قبلتها بمنديله .

وأخذ احمد يدافع عن نفسه دون ان أسأله.. واكد لى أنه لو كان هناك اى شىء بما يؤاخذ عليه لما مسح القبلة بمنديله، بل لمسحها بمنديل احد اصدقائه، ولم أكن لأدرى شيئا..

واخذت أفكر بسرعة، وأنا ما زلت محتفظة بابتسامتى..

هل أصدقه؟

إن هذا الاضطراب الذى يبدو على وجهه قد لا يكون دليل إثبات، بل قد يكون دليل براءة.. دليل خوفه من أن أسوء تفسير هذا الحادث، ودفاعه عن نفسه كذلك قد يكون دليل براءته.

ثم ماذا يحدث اذا لم أصدقه؟

سأغضب وأثور.. وأطالبه بدليل براءته.. وقد تغلب على الكرامة الكاذبة فأترك البيت وأذهب الى بيت أبى.. وبذلك أخط

زوجة أحمد

أول خط أسود فى حياتنا ..

لا .. يجب أن أصدقته، ثم أترك الأيام القادمة تثبت لى سلوكه وإخلاصه ..

وقلت له وأنا أضحك:

- تأنى مرة ابقى امسح الأحمر فى منديل صاحبك احسن! ..
وبعد أن خرج .. بكيت .. وغسلت المنديل الملوث بىدى .. وكأنى
غسلته بدموعى!

ظل دخل أحمد لا يزيد عن خمسة وعشرين جنيها فى
الشهر، مدى سنتين كاملتين .. عشنا خلالهما فى الشقة
الصغيرة التى لا يتجاوز ايجارها ثلاثة جنيهات ونصف،
وتحملت خلالها المجهود الشاق فى تأدية كل أعمال البيت
بنفسى والمجهود الشاق فى تحمل أعصاب زوجى التى ينهكها
مجهوده العنيف فى بناء مستقبله ..

وبعد عامين بدأ أحمد يجنى ثمار جهده .. قبض لأول مرة
أتعابا قدرها مائتا جنيه فى قضية واحدة، وعين فى منصب
قانونى بشركة التأمين بمرتب قدره ستون جنيها ..
وفرجت ..

ولكن أحمد لم «يفرجها» على مرة واحدة .. لم يعطنى كل
نقوده كما عودنى عندما كان يكسب خمسة وعشرين جنيها فى
الشهر بل بدأ يضع نقوده فى البنك، واستخرج لنفسه دفتر
شيكات .. وكان فرحه بدفتر الشيكات الأول كفرح الطفل بأول
شهادة يحصل عليها .. كان يضع الدفتر دائما فى جيبه،
ويظهره أمام الناس فى كل مناسبة وبلا مناسبة .. وتبدو عليه

زوجة أحمد

دائما سمات كبار رجال الأعمال.

وكننت فرحة بفرح أحمد ونجاحه.. ولم أحاول أن أناقشه في كيفية التصرف في إيراده ولم أعاتبه، لأنه لم يعطني نقوده كما عودني.. وربما كان أهم ما طمأنني في هذه الفترة أن أحمد كان ينبئنني - من تلقاء نفسه - بكل قرش يكسبه.. لم يكن يخفي عني مليما واحدا، كان يقول لي إنه كسب كذا، وإن رصيده في البنك وصل إلى كيت .. و .. و .. وأعتقد أن مصارحة الزوج زوجته بحقيقة حالته المالية هو شرط أساسي للسعادة الزوجية.. فالزواج شركة روحية ومادية، ولن تنجح الشركة إلا إذا توافرت الثقة الكاملة التي لا تترك سرا لأحدهما يغيب عن الآخر، ثم أن معرفة الزوجة بحقيقة حالة زوجها المالية يريحها نفسيا ويجعلها أقدر على تدبير البيت وتدبير مستقبل حياتها الزوجية، ومستقبل أولادها.. وإنني أعرف زيجات كثيرة فشلت وتحطمت لا لشيء الا لعدم توافر الثقة المالية بين الزوجين، وإخفاء الزوج حقيقة حالته المالية عن زوجته..

ورغم أن أحمد لم يضع نقوده كلها في يدي إلا أنه سمح لي بأن اطلب ما أشاء في حدود ماليته، وهو واثق دائما من حسن تقديري.

وكان أول ما طلبته هو أن أستخدم «سفرجي» ليعاونني في أعمال البيت..

لم أفكر في استخدام «خادمة».. فأنا لا أحب استخدام الخادومات الصغيرات، ان وجودهن في البيت يشعرنني بأنني قاسية أرهق طفلة بريئة من حقها أن تجد من يعولها، ومن حقها أن تدخل المدرسة إلى أن تكبر ثم تلتحق بالعمل..

زوجة أحمد

وخصوصا إذا كان فى البيت أطفال فى سن الخادمة، فإن وجودها بينهم يشعرنى أكثر بفداحة جريمة استغلال الطفولة ويشعرها هى أكثر بوضعها كفتاة فقيرة وطفلة معذبة بين أطفال سعداء، بما يملأ نفسها بالحسد والحقد، وقد يتطور حقدنا الى شر..

وليس صحيحا أن الخادومات الصغيرت يوفرن مرتب الخدم الكبار . فان سوء تأديتهن للخدمة وكثرة الأخطاء التى تقع منهن، ثم التعب الذى تبذله ربة البيت فى تدريبهن.. كل ذلك يوازى أضعاف أضعاف مرتب الخادم الكبير ثم إنى لا أحب استخدام الخادومات الشابات، لأن سوء تحكمهن فى عواطفهن، يدفعهن كثيرا إلى الوقوع تحت تأثير رجال من الأشرار.. إنها مسئولية كبيرة أن يكون لديك خادمة شابة.. لذلك فضلت أن استخدم «سفرجى» بمرتب قدره ثلاثة جنيهات فى الشهر.. ولا يزال هذا السفرجى فى البيت حتى الآن، ومنذ ثلاثة عشر عاما..

وسأقول لكم كيف احتفظت به هذه المدة الطويلة.. أعتقد أن الاحتفاظ بخادم فى البيت، فن يحتاج إلى ذكاء كبير.. ويحتاج إلى تحديد نوع العلاقة بين سيده البيت والخادم..

وقد كان الخدم فى بيت أبى يبقون معنا العمر كله، ولا يخرجون من البيت إلا للزواج، أو للموفاة، أو لسبب قاهر.. ولكن هؤلاء الخدم كانوا جميعا من أهل بلدتنا، ومن أبناء الفلاحين الذين يعملون فى أرضنا.. وكانوا يأتون إلينا صغارا ونعاملهم كبعض افراد العائلة، ويكبرون فى بيتنا إلى أن تتزوج البنات

زوجة أحمد

منهم، ويعود الرجل إلى الحقل.. أو يتوسط والدي لهم حتى يحصلوا على وظيفة ساع في الحكومة..

ولكن هذه التقاليد قد مضت.. وأصبح الخدم الآن طائفة هامة لها كياناتها.. كأي طائفة من طوائف العمال والمستخدمين.. ولكن الخادم - وأنا أكره كلمة «خادم» ولا أستعملها في كلامي أبدا - يتميز عن بقية العمال والمستخدمين بأنه أقرب إلى العائلة.. وقربه من العائلة يستلزم فيه صفات خاصة من النادر أن تجدها مكتملة في خادم واحد..

ومن واجب ست البيت أن تفسح جميع الفرص أمام الخادم ليثبت لها صفاته ومميزاته، لعلها تكتشف فيه بعد ذلك أنه خادم نادر.

وكنيت أعلم أن أول ما يجب على نحو السفرجى الجديد الذى استخدمته هو أن أعوده احترامى.

و«الاحترام» كلمة صغيرة، ولكن من الصعب تحقيقها. إنه شئ بين الخوف والحب.. وبين القسوة والحنو.. وبين السخاء والبخل.. و.. و.. شئ لا أستطيع أن أحده بالضبط..

وقد حاولت أن أوفر هذا الاحترام بينى وبين السفرجى منذ اليوم الأول.. فعودته ألا أترك له غلطة من غلطاته دون أن أنبهه إليها فى حزم، ولكن دون أن أرفع صوتى فى وجهه، أو أتلفظ بألفاظ قاسية تثيره.. وعودته أن أحده له مواعيد العمل بدقة، وأن أحرص أنا على هذه المواعيد أكثر من حرصه عليها، فإذا انتهى موعد عمله لا أكلفه بشئ أبدا، بل أتولى أنا العمل بنفسى.. وعودته على أن أعاقبه إذا تكرر خطؤه، وتكرر تنبيهى له.. وأن يكون عقابى بحيث يحس به دون أن يؤذيه أو يدفعه

زوجة أحمد

إلى ترك خدمتى.. وغالبًا ما يكون العقاب هو خصم مبلغ صغير من مرتبه، سرعان ما أتنازل عنه إذا أثبت لى أنه قد كفر عن خطئه ولن يعود إليه..

ولكى أحتفظ به كنت أحاول أن أوفر له الراحة قدر طاقتى.. فكنت أحاول أن أعرف حالته المعيشية.. عرفت عدد الأفراد الذين يعولهم.. وكم يرسل من مرتبه إلى أهله فى أسوان.. ثم بدأت أحسب ما يبقيه لنفسه من هذا المرتب، وهل يكفيه حاجته الضرورية؟

وبعد أن حسبت حساب حياته، وجدت أنه يجب أن أكمل له بعض حاجياته.. فكنت أعطيه الشاى والسكر من البيت، وكنت اشترى له قفطانا كل عام . والصابون.. و.. بعض الأشياء الصغيرة الأخرى..

ولم أكن أفعل ذلك بدافع الكرم، بل كنت أفعله لأضمن أمانته.. فأنى لا أستطيع أن أطلب من انسان أن يكون امينا الا إذا توافرت له حاجات معيشته الضرورية.. وإذا لم يكن امينا بعد ذلك فمعنى ذلك انه انسان لا ينفع!

وإذا كنت قد عرفت شيئا عن عائلة السفرجى وعن النواحي التى يصرف فيها نقوده فليس معنى هذا أنى كنت «أسايره» وأشجعه على أن يحدثنى عن أسرارهِ، وأحدثه عن أسرارى.. أبدا.. فقد كنت دائما حريصة على ألا يتعدى الحديث بيننا شئون عمله ولوازم البيت، إلا فى الحالات القصوى التى يأتى إلى يشكو بعض أمره.. وهذه ناحية هامة حتى يتوافر لى الاحترام الذى أريده..

وقد قلت إن مرتبه كان ثلاثة جنيهات.. ولكنى لم أعتمد أبدا

زوجة أحمد

على أنه يبقى معنا فى سبيل مرتبه.. فهذا المرتب كان يمكن ان يجده فى بيت آخر.. وقد يعرض عليه مرتب كبير، كما يحدث عادة بين البيوت بعضها وبعض عندما تتنافس على الخدم . وإنما السبب الذى اعتمدت عليه فى بقاءه معنا، هو معاملتى له..

وقد نجحت معاملتى فى إبقائه معنا، حتى اليوم..
اصبحنا فى البيت ثلاثة.. أنا وزوجى ومحمد السفرجى..
وكان كل شىء يسير هادئاً سعيداً، وكان السفرجى يعتبر واحداً من افراد الأسرة له وضع خاص.. وكان من مظاهر هذا الوضع الخاص أن زوجى لم يكن مسئؤلاً عنه - أى عن السفرجى - لا عن عمله ولا عن أخطائه.. بل إنه لم يكن يطلب منه شيئاً فكان عندما يريد كوباً من الماء - مثلاً - يطلب منى وأنا اطلبه من السفرجى.

وهذا النظام كان ييسر حسن معاملة السفرجى، فبدل أن يتعرض لملاحظات اثنين - أنا وزوجى - أصبح بهذا النظام يتعرض لملاحظات شخص واحد هو أنا.. وطبعاً لم يكن ذلك ليحول دون تدخل زوجى فى المواقف الحاسمة، وإذا كان خطأ محمد السفرجى خطأ كبيراً يضطر إلى تهديده بالطرد.
وبعد شهور أحسست ان هناك ضعفاً رابعاً فى طريقه إلينا، ليشاركنا حياتنا..

أحسست أنى حامل للمرة الثانية..

وفى هذه المرة لم أفكر فى إجهاض نفسى. فقد أصبحت حالتنا المالية وحالة الاستقرار النفسى التى تربطنا أنا وزوجى، كفيلتين باستقبال طفلى والاطمئنان على مستقبله وتربيته تربية

زوجة أحمد

صالحة..

ولكن المشكلة الأولى كانت فى ضيق الشقة التى نساكنها، لم يكن فيها غرفة أستطيع أن أخصصها للطفل.. وكان من المستحيل أن أتصور أن ينام طفلى فى حجرة واحدة معنا أنا وزوجى، فهذا وحده كفىل بتحطيم أى حياة زوجية. فحجرة الزوجية يجب ان تبقى لهما وحدهما طول العمر . كعش الغرام - ولو اقتضى الأمر ان ينام طفلهما فى المطبخ..

وبما أنى لم اكن أريد أن ينام ابنى فى المطبخ فقد بدأت أبحث عن بيت جديد.. وعن شقة أخرى تتسع لأخصص له غرفة فيها..

كان ذلك منذ عشر سنوات.. وكانت ازمة المساكن كما هى الآن.. وكانت العمارات الجديدة كلها مرتفعة الإيجار.. أقل شقة وجدتها تصلح لنا، لم يكن يقل إيجارها عن خمسة وعشرين جنيها..

وسألت نفسى: هل أدفع خمسة وعشرين جنيها كل شهر، أم أدفع خلو رجل فى شقة بإيجار قديم لا يزيد عن عشرة جنيهات..

وفضلت أن أدفع خلو رجل.. فعلم الحساب يؤكد ان «خلو رجل» مهما بلغ، يقل عن الإيجار الذى يزيد عن عشرين جنيها. وبدأت أبحث عن شقة . وكان كل ما اشترطه أن تكون شقة صحية، وهادئة على قدر الإمكان وفى وسط جيران طيبين..

وأنا شخصيا لا أفرط فى الاتصال بالجيران، بل أجد فى التماذى فى الاختلاط بهم خطرا على سعادة العائلة وهدوء

زوجة أحمد

البيت.. وكنت حتى ذلك اليوم لا أعرف جيرانى إلا من وجوههم، وأكتفى بتحيتهم من بعيد لبعيد، ولا أصادق واحدة منهم، ولا أزورها إلا فى المناسبات الرسمية.. ولم أكن أهتم بأن يقال عني إنى «متقنزة» وإنى «متكبرة» فهذا خير من أن أعرض هدوء بيتى لضجة أنا فى غنى عنها.. وقد تعودت منى جارأتى هذا الانطواء.. ويوما بعد يوم.. أصبحنا نتبادل الاحترام.. الاحترام فحسب، أى لا نتبادل الأسرار كما تفعل معظم الجارات.. ورغم ذلك فقد كنت أفضل دائما أن يكون جيرانى «ناس طيبين»..

وبحثت طويلا . انقضت شهور وأنا أبحث، دون أن أفقد صبرى.. الى أن وجدت أخيرا الشقة التى أريدها، ودفعنا فيها «خلو رجل» قدره ثلثمائة جنيه .

وبدأت أستعد للانتقال الى البيت الجديد..

لقد اكتشفت أن من أسرار السعادة الزوجية ألا يبقى الزوج فى البيت طويلا.. ألا يعود إلى البيت وقت الغداء، ويبقى فيه إلى صباح اليوم التالى!!

وقد تعرضت لهذه التجربة فى فترة الاجازة الصيفية، عندما قرر أحمد أن يغلق مكتبه لمدة شهرين ليستريح فيهما..

وقد كان أحمد فى حاجة إلى الراحة فعلا.. ولكنه لم يستطع أن يجد راحته بالبقاء فى البيت..

كان يخرج فى الصباح متأخرا - فى الساعة الحادية عشرة - ويذهب إلى شركة التأمين، ثم يمر على اصدقائه فى المقهى، ثم يعود ساعة الغداء ليبقى معى. وكنا نخرج فى المساء لنذهب الى السينما أو لبعض الزيارات العائلية.. ولكن مع مرور الايام أصبحت السينما والزيارات نوعا من الروتين.. وبدأ أحمد

زوجة أحمد

يضيق بى وبالبیت.. أصبح يكثر من ملاحظاته على كل شىء يراه حوله، وأحيانا تنقلب هذه الملاحظات إلى مناقشات، ثم إلى خناقات . وبعد ذلك بدأ أحمد يهرب من البيت، ليقضى المساء مع اصدقائه، ويعود فى النصف الأخير من الليل، وأحيانا يعود ورائحة الخمر تفوح منه، ثم اكتشفت أنه بدأ يلعب القمار.. صحيح، إنه لم يصب بداء القمار، ولم يكن يلعب الا بقروش، ولكنه - على كل حال - بدأ يلعب..

كنت أعلم السبب فى هذا التحول الذى طرأ عليه..
السبب هو أنه لا يجد شيئا آخر يعمل..

والرجل حيوان جميل، لا يمكن استثنائه والاطمئنان اليه الا باجتهاده.. أى يجب أن يعود الرجل إلى البيت مجهدا متعبا ليجد فيه راحته ويعرف فضل زوجته عليه.. أما إذا بقى فى البيت طويلا دون أن يعمل شيئا محتفظا بكل قواه، فهو يعود إلى طبيعته.. حيوانا جميلا ثائرا، لا يخضع ولا يحمد الله.. واحترت ماذا أفعل فى زوجى.

ولم أكن أستطيع أن أنتظر حتى تنتهى الاجازة، فقد كنت أخشى أن يتطور زوجى الى ما هو أسوأ.. ولم أكن أستطيع أيضا أن اطلب منه ان يلغى اجازته.. ويعود إلى مكتبه.. ولم أكن أستطيع أن ألح فى السفر إلى الاسكندرية - مثلا - فميزانيتنا لم تكن تحتل، خصوصا وأنا كنا فى ذلك الوقت نبحث عن شقة جديدة ونضع القرش فوق القرش لنجمع قيمة خلو الرجل.. وأخيرا تذكرت أن شقيقتى وزوجها عضوان فى النادي الاهلى، وزوجها يلعب هناك التنس.. وتذكرت أن أحمد كان يلعب التنس وهو طالب ثم تركه بعد تخرجه.. وتحايلت حتى دعتنا شقيقتى الى النادي.. وأنا أدعو الله فى سرى أن

زوجة أحمد

«تنفتح نفس» أحمد للعب التنس.

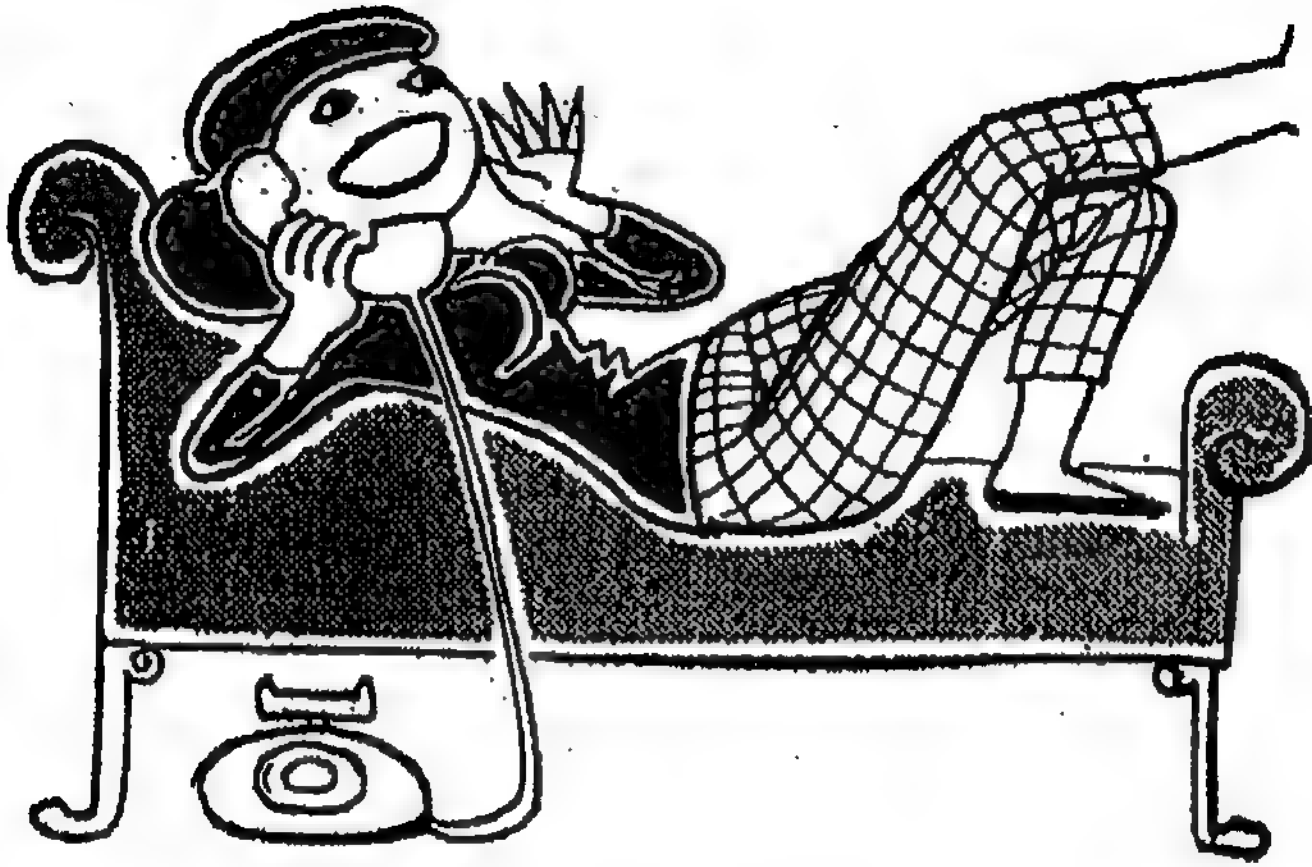
ولم يكن أحمد يميل كثيرا الى زوج شقيقتى . كان بينهما دائما نوع من الغيرة والتنافس، وربما كان هذا هو حال كل «العدايل».. ورغم ذلك فعندما شاهد أحمد ملاعب التنس وشاهد عديله يلعب، انفتحت نفسه.. ونزل الى الميدان، ربما لا لشيء الا ليتغلب على زوج شقيقتى..

وعادت إلى أحمد هواية التنس، كما تعرفنا فى النادي الأهلى إلى «شلل جديدة» من الناس أثاروا إهتمام أحمد، وبدأ يوطد علاقته بهم، ويحاول ان يكسب ثقتهم ليكونوا زبائن لمكتبه فيما بعد.. ثم أصبحنا عضوين فى النادي.. وبذلك تغلب أحمد على حالة الملل التى تسلطت عليه من طول بقائه فى البيت بلا عمل.. ومرت الاجازة بسلام..

وعندما انتهت اجازة أحمد، كنت قد وجدت الشقة الجديدة، وامتلأ وقتى كله بمتاعب الانتقال الى البيت الجديد..

كانت الشقة التى أقيم فيها مكونة من ثلاث غرف، وكانت الشقة الجديدة مكونة من خمس غرف.. ورغم ذلك فعندما انتقلت إلى الشقة الجديدة بالأثاث القديم - مؤقتا - ولم أشتري سوى «أنتريه» جاهز وضعته فى الصالة الخارجية للبيت.. ثم اشتريت بعض «التابلوهات» وقطع السجاد الأسىوطى لأملأ به فراغ الشقة.. ثم قررت أن أضع فى حسابى إعادة فرش البيت كله ولكن «على مهل».. وانا أعتقد أن تأثيث البيت، عملية أقرب إلى شغل التريكو، يجب أن تتم غرزة بعد غرزة، وقطعة بعد قطعة.. وقد بدأت فعلا فى شراء مجلات الاثاث الامريكية والفرنسية لأنتقى منها القطع التى تعجبني، وبحثت عن النجار «العمولة» الذى سيقوم بصنعها..

وكانت هناك ثلاثة شروط يجب أن أحققها فى كل قطعة أثاث.



كانت الشقة التى أقيم فيها مكونة من ثلاث غرف، وكانت الشقة الجديدة مكونة من خمس غرف.. ورغم ذلك فعندما انتقلت الى الشقة الجديدة بالأثاث القديم - مؤقتا - ولم اشتر سوى «أنثريه» جاهز وضعته فى الصالة الخارجية الأسبوطى لأملأ به فراغ الشقة.. ثم قررت ان.. اضع فى حسابى اعادة فرش البيت كله ولكن «على مهل».. وانا أعتقد ان تأثيث البيت، عملية اقرب الى شغل التريكو، يجب ان تم غرزة بعد غرزة، وقطعة بعد قطعة.. وقد بدأت فعلا فى شراء مجلات الاثاث الامريكية والفرنسية لأنتقى منها القطع التى تعجبني، ويحدث عن النجار «والعمولة» الذى سيقوم بصنعها..

زوجة احمد

- ١- أن تكون مريحة، ورخيصة..
 - ٢- أن تكون مطبوعة بشخصيتي، أى أن أضيف إليها شيئاً جديداً يعبر عن ذوقي، وليس له مثيل فى المجالات أوفى محال الأثاث..
 - ٣- أن تكون سهلة التنظيف، وأن تحتل على الأقل خمس سنوات، لأنى أؤمن بضرورة تغيير اثاث البيت كل خمس سنوات - على الأقل - فإن تغيير الأثاث معناه تجديد الحياة فى البيت..
- وصدقونى، أنى لم انته من إعادة فرش البيت الجديد الا بعد عامين من انتقالى اليه..
- وقد اكتشفت أن مجرد انتقالنا الى هذا البيت كان ايدانا بزيادة مصروف البيت.. فإن مجرد اختلاف البيئة وانتقالنا الى وسط أرقى من الجيران اضطرنا الى الحرص على كثير من المظاهر التى لم نكن نتمسك بها من قبل حتى ثيابى أصبحت مضطرة الى ان اختارها من صنف أرقى حتى أجارى بها الوسط الذى انتقلت اليه.
- ولا أعتقد أننا نستطيع أن نهمل المظاهر إهمالا تاما.. أنها شىء أقوى منا.. ولكننا نستطيع أن نوفق بينها وبين ضرورات الحياة.. وعندما تتعارض الضرورة مع المظهر فيجب أن نضحى بالمظهر..
- وقد كنت أذكر دائما بينى وبين نفسى، سيدة مطلقة كانت من صديقات والدتى، وكانت من هواة المظاهر إلى حد الجنون.. كانت تكلف ثوبها خمسين جنيها، وحذاءها خمسة عشر جنيها، وتقيم حفلة فى كل شهر.. وكنا جميعا نعتقد انها سيدة ثرية، إلى أن جاءت يوما تقترض من والدتى ثلاثين جنيها لتدفع مصاريف مدارس أولادها.. وعرفنا بعد ذلك أن حياتها مرتبكة إلى حد أن

زوجة أحمد

أولادها ليس لدى كل منهم سوى بيجامة واحدة، وكان كل منهم عندما يأخذون بيجامته للغسيل يجلس شبه عار إلى أن يتم غسلها وتجفيفها.. مساكين!

هذه الصورة كانت تقفز إلى ذهني كلما أغرقتني الحياة التي تحيط بي على التماهى فى الصرف على المظاهر..

ورغم ذلك.. رغم حرصى الشديد.. فقد ارتبكت حالتنا المالية، نتيجة للحياة الجديدة التي دخلنا فيها.. فقد اضطررنا إلى استخدام سفرجى آخر جديد، فلم يكن محمد السفرجى يستطيع أن يقوم بأشغال خمس غرف وحده، كما أنى لم أكن أستطيع أن أسعاده كثيرا لأنى كنت حاملا.. ولكن، بعد أن جاء السفرجى الجديد، بدأت أعلم محمد شئون الطهو، لأجعل منه طبّاخا.. وقد افلحت فى ذلك إلى حد كبير.

كما أنى اضطررت إلى شراء «فريجيدير» بالتقسيط.. و... و... كل ذلك أريك ميزانيتنا . وعندما شعر زوجى أحمد بهذا الارتباك لم يفعل أكثر من إعطائى كل دخله، وتركنى أتصرف وحدى.

وقد تصرفت بحيث لا أشعر أحمد بأى نقص فى حياته أو فى «مصرف جيبه» بل بالعكس رفعت نسبة هذا المصروف.. وكانت الوسيلة الوحيدة هى أن بدأت أسحب من رصيدى الذى تجمع لى فى البنك، كما اقنعت أحمد بأن من حقى أن آخذ ما يعطيه لى أبى، ما دام لا يعطينى إلا مبلغا صغيرا بالنسبة لما يعطيه لى هو . أى زوجى!

وهكذا توازنت الميزانية مؤقتا..

وبدأت أستعد لاستقبال المولود الجديد .

ابتنى الأولى..

زوجة أحمد

هل أصف لكم شعور الحامل؟!
لا أستطيع . أنه شعور اللهفة.. والخوف.. والزهد.. والملل..
والفرح.. والضيق.. شعور كموج البحر، يصخب حيناً، ويهدأ
حيناً، وهو فى صخبه وهدوئه يثيرنى ويتلف أعصابى
وقد مرت علىّ هذه الشهور - شهور الحمل - وأنا فى حالة
غير طبيعية.. كنت فى بعض الأسابيع أنام كثيراً.. أقضى معظم
ساعات النهار والليل نائمة نوما عميقا وأسابيع أخرى لا أنام،
ويخيل إلى أن أعصابى قد اشتعلت فيها النار. وعندما
«توحمتم» كان توحى على «عبد اللوى» رغم أنى لم أكن أحب
هذا «العبد اللوى» أبدا!

وكان زوجى أحمد يهتم بى أكثر من اللازم. إلى حد أنى
كنت اضيق باهتمامه وأفقد أعصابى فى مناقشاته معى.. وكان
يحتملنى عادة كلما ثرت، مقدرا حالتى.. وكان يشتري كتباً كثيرة
انجليزية وفرنسية عن كيفية الاعتناء بصحة الحامل، وقد حاولت
أن أقرأ هذه الكتب، ولكنى لم اطقها، فقد كان يخيل إلىّ كلما
قرأت عن أحد الأمراض أو المضاعفات التى تتعرض لها الحامل،
أنى قد أصبت بهذا المرض.

وفضلت أن ألقى بهذه الكتب بعيداً عنى، مكتفية باتباع
نصائح الطبيب والموظبة على التردد عليه فى المواعيد التى
يحددها لى.. وقد قسوت على نفسى كثيراً لأحافظ على نصائح
طبيبى خصوصاً عندما منعنى من أكل «المخل» فقد عشت
حياتى كلها وأنا «أموت» فى المخل.

وعندما وصلت الشهر السادس من الحمل بدأت تنتابنى حالة
جديدة، فقد خيل إلى أن منظرى أصبح بشعاً.. وتجسم هذا

زوجة أحمد

المنظر البشع فى خيالى، حتى قررت أن أمتنع عن الخروج بتاتا رغم الحاح زوجى علىّ .

وتطورت هذه الحالة عندى إلى أن أصبحت معتقدة أن زوجى لا يطبق منظرى.. وخيل إلى أنه يبحث لنفسه عن امرأة جميلة المنظر. ليست منتفخة مثلى.. ثم خيل إلى أنه وجد هذه المرأة وأنه يخوننى معها..

وتمكنت هذه الفكرة منى . وكدت أجن! أصبحت واحدة أخرى غير نفسى.. كنت أراقبه، وكنت أبحث فى مناديله وقمصانه لعلنى أجد أحمر شفاه، أو أشم فيها رائحة «بارفان» وبدأت أتصرف تصرفات سخيفة - أخجل من ذكرها الآن - إلى حد أنى كنت أتعمد أن أثيره كل ليلة، حتى أستنزف حيويته ولا أترك منها شيئاً لامرأة أخرى!

وتحملنى زوجى العزيز.. تحملنى كثيراً.. فقد كان يعلم حالتي، ويعلم أنها حالة غير طبيعية!

وانتهت هذه الفترة عندما أصر الطبيب على أن أخرج لأسير على قدمى كل يوم - بعد الشهر السابع - وأصبح أحمد يخرج ليسير معى بعد أن ينتهى عمله فى المكتب. وكنت أصر فى مبدأ الأمر على أن نسير فى الشوارع البعيدة المظلمة حتى لا يرى أحد منظرى البشع.. ولكنى يوماً بعد يوم اكتشفت أن كل ما كان يخطر لى كان مجرد أوهام.. أن الناس تمر بى فتتنظر إلى نظرة تقدير واحترام كأنهم ينظرون إلى تمثال الأمومة.. والبعض يبتسم ابتسامة حانية، والبعض يفسح لى الطريق كأنى ملكة.. أما أحمد فقد اكتشفت أنه لا يحس إطلاقاً بأن منظرى بشع، بل بالعكس كان يرى أنى ازددت جمالاً أثناء مدة الحمل.. وهو

زوجة أحمد

يقصد جمال وجهى طبعاً! وربما كانت تباشير الأمومة تضيفى
على وجوهنا نورانية تزداد بها جمالا.. وكان أحمد يسير بجانبى
فخوراً رافع الرأس، وكأنه يقول للناس «أنا صاحب هذا الشيء».
ولم أعد اتعمد أن اختار الشوارع المظلمة لأسير فيها،
أصبحت «انزل البلد» كل يوم وأذهب فى المساء الى الأماكن
المزدحمة.. ولا يهمنى!

وأخيراً حانت ساعة الوضع

وكانت ولادة متعسرة!

كان يجب ان ألد فى المستشفى.. ولا أظن زوجة عاقلة تفكر
هذه الايام فى أن تلد فى البيت كعادة ستات زمان..

وقد بقيت خمسة عشر يوماً وأنا فى انتظار الولادة.. كل
ساعة اعتقد أنى.. خلاص.. حاولد! فأتصل بأحمد فى مكتبه،
ويتصل أحمد بالدكتور.. ويسرع الاثنان إلى لأسمع الدكتور
يقول كلمته المعتادة: لسه شويه!

وكانت الساعة الواحدة صباحاً عندما شعرت بالآلام حادة
تمزقنى، أشد من الآلام المرات السابقة.. وخرج أحمد ليتصل
بالطبيب تليفونياً وأمره الطبيب بأن ينقلنى إلى المستشفى.

وبقيت أصرخ والآلام تمزقنى من الساعة الواحدة صباحاً
حتى الساعة الخامسة من مساء اليوم التالى.. ثم لم أعد أصرخ
ولا أتألم.. أغمى على!

كانت ولادة متعسرة.. قاسية!

وأفقت من إغمائى لأجد أحمد بجانبى يبكى.. كانت المرة
الأولى والاخيرة التى أراه فيها يبكى.. وكان يبكى لآلامى، بل إنه

زوجة أحمد

أعتقد فى لحظة ما انى قد انتهيت!

ولن احاول أن أصف لكم الآلام التى عانيت بها، فقد نسيتها انا نفسى.. نسيتها بمجرد أن ولدت.. وبمجرد أن التقت عيناى للمرة الأولى بوجه ابنتى زينب.. أو «زیزت» كما اعتدنا ان نناديها بعد ذلك

ونظر أحمد إلى وجه زیزت، ولم تبد عليه اى امارات السعادة . لا لانها بنت، بل لان كل الرجال لا يشعرون بعاطفة الابوة من النظرة الأولى.. ان عاطفة الامومة - كما أعتقد - تتولد من الآلام التى تعانيها الأم أثناء مدة الحمل وأثناء الولادة، ومن التغيرات والحالات غير الطبيعية التى تتعرض لها . اما الأب فهو لا يتعرض لمثل هذه الآلام، ولا تتنابه هذه الحالات، كل ما يتعرض له هو حالة الانتظار - أثناء مدة الحمل - ليرى مولوده.. ولذلك فإن عاطفة الابوة لا تلمع ولا تشتد من النظرة الأولى، إنما تحتاج إلى وقت طويل، وكلما كبر المولود، وتشكلت حياته، كلما قويت عاطفة الابوة فى نفس الاب..

وقد نظر احمد الى زیزت يوم ولادتها، وحاول ان يبتسم، ثم لم يتمالك نفسه وقال:

دى وحشه.. بكره ما نلقيش حد يتجوزها! وفعلا كانت زیزت «وحشة» يوم ولادتها.. كانت ضعيفة، صغيرة، مسكينة، وكانت آثار «الجفت» قد تركت خدوشا فى رأسها الصغير.. وربما كان كل الاطفال لا يبدو جمالهم ساعة ولادتهم. اما اليوم فزیزت جميلة . جميلة.. جميلة.. صدقونى!

وفى هذه الايام، وبعد خروجى من المستشفى أيضا، كان أحمد يدللنى كثيرا. أكثر مما يدل ابنته ولكنى لم اغتر بهذا

زوجة احمد

التدليل.. كنت أعرف ان الذى فى حاجة الى التدليل هو احمد.. وكان علىّ أن أثبت له أنى لم أتغير بعد أن أصبحت أما، وأنى لازلت الفتاة التى تحبه، والتى لا يشغلها شىء عنه، وليس فى حياتها أحد غيره.

كان علىّ أن أوفق بين عاطفتى نحو ابنتى، وعاطفتى نحو زوجى، حتى لا يتعدى احدهما على حقوق الآخر.. وقد وفقت فى ذلك إلى حد كبير.

إنى أعلم ان الله هو مسئول وحده عن تربية الاولاد.. ان هناك مظاهر وانحرافات تعترض حياة اولادنا وتكوّن شخصياتهم، ولا يعرف سرها الا الله.. ورغم ذلك فإن علينا أن نأتى بالمستحيل لنساعد الله على تربية اولادنا.

وكنت قرأت كثيرا فى كتب تربية الأولاد.. ولكنى لم ألبث أن اكتشفت ان كل ما قرأته مجرد نظريات، قد تصلح لتكون أساسا لتفكيرى، ولكنها لا تصلح - غالبا - للتطبيق العملى.. ومن الخطأ دائما أن نتمسك بما نقرأه ونحاول ان نطبقه كما هو . فان الظروف والحوادث التى تحيط بكل فرد تختلف عن ظروف الآخر. وهذه الظروف لا يتحكم فيها كتاب أو رأى للكاتب، والطريق الوحيد للتغلب عليها هو الاعتماد على رأى الشخصى، وحسن التصرف.

ومنذ أن جاءت ابنتى «زيت» قررت أن أكتب مذكرات يومية عن كل ما يطرأ على حياتها.. كل شىء حتى التوافه الصغيرة.. وخصصت كراسة أنيقة لهذه المذكرات، لصقت على غلافها بطاقة تحمل اسم «زيت».

كنت اكتب مثلاً: «اليوم بكت زيت ثلاث مرات مرة فى

زوجة أحمد

الساعة العاشرة.. ومرة فى الساعة السادسة مساء.. ومرة فى الساعة الثانية عشرة.. وقد تناولت رضعاتها بانتظام، ولكنها أعادت نصف الرضعة الثالثة.. و...

وعندما كبرت بدأت أسجل كثيرا من الكلمات التى تقولها.. وكثيرا من تصرفاتها.. عندما كانت تحطم لعبة.. أو تمزق كتابا.. أو.. كل هذا كنت أسجله!

وكنت أعرض هذه المذكرات على الطبيب كلما مرضت زينت ليستعين بها فى تشخيص مرضها وعلاجها سواء علاج جسمها أو نفسها.. وكنت أنا نفسى استعيد قراءة هذه المذكرات بين وقت وآخر حتى لا أنسى شيئا من عمر ابنتى، خصوصا إذا صادفنى تصرف غريب من تصرفاتها لا أستطيع تحليله، فأنى أعتقد أن أى تصرف لابد له من مقدمات فى تصرفات أخرى مضت.. وأكثر من ذلك لقد أصبحت هذه المذكرات تسليية مفيدة لابنتى بعد ان كبرت وكانت تلج على كثيرا من وقت لآخر، كى أعطيها لها لتقرأها.. ولم تكن تشبع ابدا من قراءتها، كانت كأنها تقف امام مرآة التاريخ لترى عمرها.

كانت هذه المذكرات هى بعض ما أحرص عليه. ولكنها لم تكن أهم ما أحرص عليه.. إنما كان الأهم هو ان اجعل من بيتى دنيا صالحة لتربية الأولاد

وكان أهم ما تقوم عليه هذه الدنيا، هو الحب.. حبنى لزوجى، وحنانى على الخدم.. ولم يحدث أبدا أن تناقشت مع زوجى مناقشة حادة أمام الاولاد ورغم كثرة المناقشات التى تحدث بيننا، ورغم أخطاء أحمد الكثيرة الجسيمة، وهى أخطاء سأحدثكم عنها بالتفصيل فيما بعد.. ولم يحدث أبدا أن قلت

زوجة أحمد

كلمة نابية للخادم، ولم أتصرف تصرفاً لا أريد لأولادى أن يتصرفوا مثله.

إن الأولاد يتأقلمون بالبيت.. الذى ينشأون فيه، وتصرفاتهم الأولى هى دائماً تقليد لتصرفات الأب والام واهل البيت.. لذلك اضمنيت نفسى كثيراً لأهيبى لابنتى وولدى البيت الصالح والام الصالحة، بل أنى كنت أحاول أن أجعل من الخدم خدماً صالحين.. كنت أحاسبهم على كل كلمة يقولونها، وكل حركة يأتون بها.

ورغم ذلك.. رغم كل الحرص هذا.. فقد فوجئت بابنتى وهى فى الثامنة من عمرها تقول للخادم:

يا سم كده!

من أين اتت بهذه الكلمة.. انها كلمة لم تتردد أبداً فى بيتنا، وأنا نفسى لم اتعود أن ألفظ بها.

لابد انها اتت بها من المدرسة..

كيف أوفق بين البيت، والمدرسة..

كنت قد نسيت تماماً انى مسئولة عن ابنتى فى المدرسة كما انى مسئولة عنها فى البيت.. ولم اشعر بهذه المسئولية الا بعد أن سمعت ألفاظاً غريبة على لسان ابنتى.. ألفاظاً لا يمكن أن تكون قد التقطتها من البيت.

ماذا أفعل..

أول ما فعلته.. هو أنى ذهبت إلى المدرسة بنفسى، وتعرفت «بالست الناظرة» وقد وجدتها سيدة طيبة كريمة، فرحبت بلقائى أكثر مما كنت انتظر، وقد طلبت منها أن تقدمنى إلى مدرسات

زوجة أحمد

ابنتي، فرحبت باقتراحى، ودعت المدرسات واحدة بعد الأخرى وقدمتهن إلى... ثم انتظرت إلى فترة «الفسحة» وجلست معهن جميعاً نتحدث عن البنات وعن متاعبهن ومتاعبنا معهن... وكنت اهتم كثيراً بالسؤال عن زميلات ابنتي... واحدة.. واحدة.. من هى؟ ما هى تصرفاتها؟ ما هو الوسط الذى تعيش فيه!

ولم أحاول أن أرى ابنتى وأنا فى المدرسة.. فقد اعتقدت أن هذه العادة - التى تتبعها كثير من الأمهات - فيها تدليل لا مبرر له، وفيها تدخل فى سلطة المدرسة، وإحساس للبنات بأن وراءها من يحميها من مدرساتها، وهو إحساس قد ينتهى بالبنات إلى نوع من التحدى لنظام المدرسة.

لذلك تركت المدرسة دون أن أرى ابنتى، وقد عرضت النافذة على أن تستدعيها من «الفصل» وعندما رفضت، خيل إلى أن النافذة قد ارتاحت لرفضى.

وبعدها.. بدأت ادعو المدرسات إلى بيتى، كل اثنتين معا.. ولم أكن ادعوهن تكريماً لهن - وهو تكريم واجب - ولم تكن دعوتى رشوة.. إنما كنت ادعوهن ليشعرن بالجود الذى تعيش فيه ابنتى، فيستطعن أن يفهمنها أكثر.. ولأشعر كل منهن بنفسى وبأرائى وشخصيتى فيحاولن أن تكون كل منهن أما لابنتى.. أما مثلى!

وكنت خلال هذه الدعوات اعتبر «زيت» هى المضيقة.. كانت فى السابعة من عمرها، ورغم ذلك فكنت اعتبرها المضيقة، وهى «ست البيت».. كانت تقدم لهن الشربات بنفسها.. وتجلس معنا طول الوقت.. وتركها توجه الحديث فى بعض الأحيان.

ونجحت هذه الدعوات إلى حد كبير.. ولاحظت تقدماً كبيراً فى إحساس ابنتى بالمدرسة، وإحساس المدرسة بابنتى.

زوجة أحمد

واخترت من بين زميلات ابنتى اربعا صممت على دعوتهن إلى بيتى مع امهاتهن.. فانتهزت فرصة عيد ميلادها، واتصلت بالامهات بالتليفون وقدمت لهن نفسى، ثم دعوتهن.. وقد قبلن الدعوة مرحبات.. وعملت بعدها على ان اوصل صداقتى معهن لآكون دائما على اتصال بالبيئة التى تعيش فيها صديقات «زيت» ولم تكن هذه الصداقة صداقة بالمعنى المفهوم، بل كانت أكثر من صداقة، وكنا نحن الخمس متفاهمات - فيما بين أنفسنا - على اننا نفتعل هذه الصداقة من أجل بناتنا.

وهكذا ضمنت إلى حد كبير التوفيق بين البيت والمدرسة.. ووصل احدهما بالآخر.. دون ان يكلفنى ذلك سوى تقديم بعض زجاجات الكوكا كولا أو اكواب الشربات.

وليس معنى ذلك أنى استطعت ان اتحكم فى مصير ابنتى وفى تربيته.. ولكن على الأقل فعلت ما بوسعى، والباقى على الله.

وكل هذا التعب الذى كنت اتحملة فى سبيل ابنتى، لم يكن يوازى شيئا بالنسبة للتعب الذى تحمّلته نتيجة نزوات زوجى أحمد واخطائه.. وهو تعب تحمّلته فى سبيل اولادى ايضا.

وكانت أكثر المشاكل التى يمكن ان تتور بينى وبين أحمد قد حللتها.. مشاكل البيت، والمصروف... و... و.. مما سبق ان حدثكم عنه، ولكنه جاء يوم بدأت أحس فيه أن فى حياة أحمد ناحية يخفيها عنى، ويحرص جدا على اخفائها بحركات «مكشوفة» يمكن ان تفهمها أى زوجة.

وذات يوم دق جرس التليفون.. وسمعت صوت سيدة لا أعرفها تقول لى:

زوجة أحمد

حضرتك مرات الاستاذ احمد.

ايوه

والنبي انتى صعبانة على..

وقلت قبل ان اتنبه إلى ما تعنيه

حضرتك مين؟

مش حا أقولك.. كفاية أقولك، خدى بالك من «فلانة»!

وفلانة هذه كنت اعرفها.. أعرفها من بعيد!

وبدأت قصة عنيفة فى حياتى..

فى تلك اللحظة.. بعد ان وضعت سماعة التليفون.. لم أفكر

فى فلانة هذه!

لقد فكرت فى أحمد! وفكرت فى هذه السيدة التى حدثتنى

فى التليفون!

إنها سيدة لا أعرفها.. فما الذى يجعلها تتطوع بهذا التحذير؟

ألا يمكن أن تكون كاذبة؟

ولكن.. ما مصلحتها؟

وهل معنى هذا أن كثيرات أخريات يعرفن خيانة زوجى.. إلا

أنا؟ ربما كان الجميع يعرفون ذلك! ربما كانوا جميعا ينظرون

إلىّ فى إشفاق وأنا أمثل دور السانجة!

لو أننى اكتشفت خيانة زوجى بنفسى دون أن يعرف بها أحد

لهان الأمر! على الأقل كانت كرامتى ستظل محفوظة أمام الناس!

ويكيت!

وفكرت ان اجمع ثيابى وأذهب إلى بيت أهلى.

فيعود أحمد ليجد البيت باردا خاليا!

زوجة احمد

ولكن معنى ذلك أن يعرف أهلى أيضا.. فى حين أن هناك احتمالا ولو بسيطا ألا يُعرفوا! وقد تعرف أيضا زيزيت ابنتى.. أننى أتحمل أى شىء إلا أن تجرح كرامتى أمامها!

واخذت اجفف دموعى وأنا أدور فى البيت الخالى كالشاردة! وهجمت على خاطرى كل روايات السينما التى رأيتها.. والقصص التى قرأتها.. والحكايات التى سمعتها من الجيران.. تصورت زوجى يخوننى بعشرات من الطرق التى رأيتها وسمعتها.. وتصورت نفسى فى قلب عشرات من المآسى التى بكيت أحيانا وأنا أراها على شاشة السينما!

وأخذت أستعرض كيف تصرفت بطلات هذه الروايات، فیهن من هجرت زوجها وطلبت الطلاق فورا. ولكنها عاشت طول حياتها تندم على هذا الطلاق.. وفيهن من أعلنت الحرب على زوجها.. وفرضت عليه حصارا عسكريا مسلحا.. ولكن، إن أعصابى لا تتحمل أن أعلن الأحكام العرفية على زوجى فى البيت ولا تحتمل أن أعيش فى حالة حرب دائمة.. سأشعر أننى لا أعيش فى بيت، إنما أعيش فى خندق محصن، محسوط بالاسلاك الشائكة! انا التى تعودت أن أعيش فى جو من الثقة.

ماذا أصنع؟

وقررت ألا أصنع شيئا!

فقط.. سأنتظر وأرقب، دون أن يشعر أحمد بشىء..

ودار المفتاح فى الباب، وكان أحمد داخلا وفى يده بعض الفاكهة كالعادة.

ووجدتنى - دون أن أشعر - أبالغ فى الحفاوة به..

زوجة احمد

وجدتني أقبله في حرارة أكثر من المعتاد.. وأساعده على خلع ثيابه في لهفة مبالغ فيها.. وأنسق له المائدة وأغريه بالطعام في إسراف.

وانتبهت فجأة - ونحن على مائدة الطعام - أنني أبالغ في تصرفاتي.. لسبب بسيط هو أنني أخفى عنه شيئاً!
وعادت إلى ذهني لحظات كان هو يبالغ أحياناً في تدليلي والعناية بي مبالغة لا موجب لها.. إذن لابد انه كان يخونني في تلك اللحظات بالضبط! لابد انه كان مثلي الآن يكتم في نفسه شيئاً؟

وسمعت صوت احمد يتوقف عن الأكل ويقول لي:
مالك..

وانتبهت إلى أنني أبطأت في الأكل.. وغرقت في دوامة من التفكير والصمت دون أن أشعر.. وانتبهت الى إن هذا المظهر قد يفسد خطتي كلها..
وعدت ابتسم له.. حتى لا تفسد الخطة!

قلت إنى قررت الا أصنع شيئاً.. فقط سأنتظر وأرقب دون ان يشعر احمد بشيء.. ثم اترك الظروف تثبت لي براءته أو خيانتة لي.

ولكنى لم أطق الانتظار طويلاً.. ولم أطق خداع أحمد طويلاً بإخفاء ما في رأسي عنه.. ولكن ماذا يجديني لو صرحت له بشكوكي؟! وماذا يجديني لو رويت له خبر التليفون الذي حمل إلى اتهامه بخيانتتي مع «فلانة»؟!
سينكر طبعاً كل شيء.. سيقول إنه «مقلب» من أحد

زوجة احمد

اصدقائه، أو دسييسة من امرأة شريرة تحسدنا على سعادتنا.. سيقول أى شىء.. ولن انتهى أنا إلى شىء . سأظل دائما أشك فى خيانتة، وأشك فى براعته.

واخيرا قررت أن أضع خطة جريئة.. وربما كان فيها بعض الشر، ولكن كل إنسان فيه ناحية شر.. حتى لو كان شرا أبيض. وبدأت الخطة بأن سعيت الى التعرف بـ «فلانة» هذه التى اتهمها التليفون بأن زوجى يخوننى معها.

وكنت اعرفها من بعيد.. وأعرف عنها أنها سيدة «على كيفها» وان لها مغامرات كثيرة.. وانها عضوة فى احدى الجمعيات الخيرية. وانها زوجة لرجل عجوز!

وقد تعرفت إليها ببساطة عن طريق احدى صديقاتى.. ويوم قابلتها توددت إليها كثيرا ولم اكن اعرف انى استطيع ان انافق إلى هذا الحد.. ولكن الزوجة الغيور تستطيع كل شىء حتى النفاق!

وفى خلال فترات حديثنا كنت أنظر إليها من تحت لتحت . وشعرت بشعور غريب وأنا انظر إليها.. شعور نفرت منه واستغربته على نفسى.. كنت أنظر إلى شفتيها وأسائل نفسى: ماذا يعجب احمد زوجى فيهما، وكنت أنظر إلى ذراعيها ويخيل إلى أن أصابع أحمد منطبعة فوقهما.. وكنت. وكنت وشعور الاشمئزاز يكاد يقلب معدتى.. الاشمئزاز من نفسى لانى افكر مثل هذا التفكير.. ورغم ذلك ظلت انافقها واتودد إليها..

وعندما عدت الى البيت كان أول ما فعلته ان انتهزت فرصة وقلت لزوجى انى قابلت «فلانة»..

قلت لها وأنا أحرق فى وجهه لأرى تأثير الخبر فى نفسه..

زوجة أحمد

وقد رأيت الدهشة على وجه أحمد، ثم كأنه كتم دهشته وقال
فى هدوء مفتعل:

فلانة بتاعة جمعية الاخلاص؟
قلت:

أيوه.. انت تعرفها؟
قال:

وايه اللي لك عليها؟
قلت:

قابلتها عند واحدة صاحبتى..
ثم عدت أسأله:

انت تعرفها؟

قال فى لهجة طبيعية:

بأقرا عنها وباشوف صورها فى الجرايد؟

قلت وأنا أحاول أن أثيره:

ويا ترى صورها بتعجبك؟
قال:

يا شيخه دى عاملة زى الجارية الحبشية لما يزوقوها؟

وانتهى الحديث عند هذا الحد وقام احمد يبحث عن زيزت

ايداعبها.. ولكن الخطة لم تنته..

كانت خطتى ان ادعو «فلانة» إلى بيتى وأن أجعلها صديقتى،

وأضع أحمد بيننا.

ومن تصرفاته.. سأعلم إن كان يخوننى أم لا.. انها خطة

شريرة، ولكنها كانت أسلم خطة لزوجة حائرة.

زوجة أحمد



قررت أن أدعو «فلانة» المتهمة بأنها على علاقة بزوجى إلى بيتى.. وقد دعوتها فعلا بعد أن عرفتتى بها إحدى صديقاتى.. دعوتها مرة واثنين وثلاث، وفى كل مرة يراها زوجى فى البيت، كانت تنتابه ثورة يكبتها فى نفسه وتنضح على وجهه. ثم لم يعد يحتمل، فقال لى بعد أن خرجت من عندى آخر مرة:

أنا مش عايز الست دى تدخل بيتنا تانى!

قلت فى براءة أحسد عليها:

ليه يا أحمد دى ست كويسه، ودمها خفيف!

قال ثائرا:

دى خسرانة.. ماهياش زيك، ومايصحش تعرفيها!

وكنت أعرف أن «فلانة» ليست مثلى، وأن حياتها ليست

كحياتى.. حياتها كلها حفلات وسهر ولعب كوتشينة ومغامرات..

ولكنى رغم ذلك «قاوحت» وقلت لأحمد:

يا شيخ حرام عليك.. ما تسمعش كلام الناس!

قال فى حدة:

أنا مش عايز أتناقش فى الموضوع ده.. المهم انها ما تدخلش

البيت، ومش عايزك تعرفيها.

قلت وأنا افتعل الثورة:

أحاضر.. انت طول عمرك تحبسنى وتحطنى فى قمقم..

وصاح أحمد:

تحب أقولك إنها بتعاكسنى..

قلت وكنتى فوجئت:

زوجة أحمد

بتعاكسك؟!

قال وهو لا يزال محتدا:

ايوه كانت بتعاكسنى قبل ما تعرفك، ولسه بتعاكسنى لغاية دلوقت، وحضرتك زى المغفلة!

قلت وكأنى احقق معه:

وما قلتليش من الأول ليه؟

قال وفى صوته رنة الصدق:

لأن ما حصلش بينى وبينها حاجة.. كنت فاكّر إنها مجرد زيونة فى المكتب.. ولما ابتدت تعاكسنى بقيت أهرب منها .
واتحايل لغاية ما خدت منها توكيل بالقضايا بتاعتها.. انما بعد ما دخلت بيتى.. تندعق هيه وقضاياها.. تروح فى ستين داهية..
دى عايزة تخرب بيتى وبيتك.. فتحى وشوفى اللى حواليكى..

قلت وأنا أخفى ابتسامتى:

أنا مش مصدقك.. إنت دايما تزودها.. ايه عرفنى إنك ما بتكدبش علىّ علشان تبعد عنى صاحبتى..

وصاح:

صاحبتك.. طيب تعالى بكره فى المكتب واسمعى صاحبتك وهيه بتكلمنى فى التليفون.

وذهبت فى اليوم التالى إلى المكتب.. وتحدثت «فلانة» فعلا فى التليفون.. ووضعت إذنى بجانب أذن زوجى على السماعه، وسمعت كلامها.. كلاما ناعما.. فيه اغراء وفيه تشجيع.. كلاما فهمت منه إنه لم يحدث شىء بعد، ولكنها تغريه بكل شىء.. وبعد أن تكلمت طويلا، قال لها أحمد فى برود:

زوجة أحمد

فيه واحدة جنبى عايزة تكلمك!
وقلت فى سماعة التليفون، وأعصابى هادئة:
ازيك يا «فلانة» هانم!
وخيل إلیّ أن وجهها أحمر، وأخضر، وأزرق، وأسود، عندما
سمعت صوتى.. وخرج صوتها مرتبكا وهى تقول:
الله يسلمك.. أنا كنت باكلم أحمد فى القضية اللى..
وقاطعتها فى هدوء:
انا سمعت كل حاجة..
ولم ترد.. وظلت السماعة معلقة حتى قلت لها:
«أورفوار» ثم وضعت السماعة.. وألقيت بنفسى فوق صدر
زوجى.
لقد تحررت من الشك . عرفت إنه يحبني . وإنه يخاف علىّ
وعلى بيتي، وإنه يفضلني على كل شيء فى الدنيا ويحميني من
كل شيء حتى من نفسى.
كانت خطة خطيرة.. وربما كان خطة شريرة.. ولكنها كانت
الحل الوحيد امام زوجة حائرة.



لقد حدثتكم عن ابنتى.. ولكنى لم أحدثكم بعد عن ابنى!
وقد كانت تربية ابنى «عمرو» مثار خلاف كبير بينى وبين
زوجى أحمد . كان أحمد يريد أن ينشئ ابنه كنشأته، وأن يربيّه
نفس التربية التى تريّاها هو.. كان يريد أن يطلق له الحرية وأن
يضره كما كان أبوه يضره، وأن يشعره بالحرمان من كثير من
نعم الحياة.

زوجة أحمد

وكان أحمد يعتقد أن مثل هذه التربية هي التي تجعل من عمرو رجلاً.. قويا.. وأنه بذلك يعود على الكفاح وعلى التعب في سبيل الوصول إلى ما يريد.

وكنت أخالف زوجي في كل ذلك . كنت أقول له إنه لا يمكنه أن يحرم ابنه من ركوب السيارة ما دنا نملك سيارة.. ولا يمكنه أن يحرمه من الذهاب إلى النادي الأهلي ما دنا أعضاء في النادي الأهلي.. ولا يمكننا أن نتركه ينزل إلى الشارع بالبيجاما - كما كان زوجي يفعل في صغره - إذا كان كل أولاد الحي لا ينزلون بالبيجاما، ولا يمكنه أن يضربها إذا كان المجتمع والبيئة التي يعيش فيها لا تبيح الضرب.

قلت لزوجي إن المجتمع الذي نشأ فيه هو يختلف عن المجتمع الذي ينشأ فيه ابني. لقد نشأ زوجي في مجتمع أقل من المستوى الذي نعيش فيه الآن.. وقد كافح وتعب حتى وصل إلى حالتنا الراهنة، وبعد ذلك لا يستطيع أن يحرم ابنه مما وصل إليه.

ولم يقتنع أحمد.. وقال لي إنني سأفسد ابني وأجعل منه «دلوعة» لا يصلح للحياة.. ثم طلب في إصرار أن أترك له مهمة الولد، ويترك لي مهمة تربية البنت.

ووافقت، أو تظاهرت بالموافقة.. ولكني لم أنقطع أبداً عن التدخل في كل يوم من أيام ابني.. وفي كل يوم كنت أختلف مع أحمد.

اختلفت معه في المدرسة التي نرسل إليها الولد. فقد كنت أريد أنا أرسلها إلى مدرسة انجليزية أو فرنسية.. وأصر أحمد على أن يدخله مدرسة حكومية.. رفض حتى أن يدخله مدرسة

زوجة أحمد

خاصة.

وقالت له:

ده مستوى التعليم منحط خالص هناك..

قال فى برود:

أهو يبقى زى بقية المصريين..

قلت فى رجاء:

ووسط المدارس دى وحش خالص يا أحمد..

قال:

الوسط ده هو اللي حيعيش فيه طول عمره، وهو اللي
حيشغل فيه لما يكبر.. انا مش ناوى اشغله فى باريس ولا فى
لندن.. حيشغل فى مصر يبقى لازم يعيش مع المصريين اللي
زيه اذا كان فيهم عيوب يعرفها، واذا كان فيهم حسنات يعرفها
برضه.

قلت وأنا أكاد أبكى:

والمدارسين بيضربوا ويبشتموا بالأب والأم!

قال:

احسن.. ياما انضريت وانشتمت وأنا صغير..

قلت:

والكلام اللي زى الطوب اللي حيتعلمه هناك!

قال:

أحسن يتعلمه من دلوقت علشان لما يكبر يعرف يرد عليه!
وانتصر زوجى على . ودخل عمرو إحدى مدارس الحكومة
من رياض الاطفال حتى الابتدائى والثانوى.. وكانت النصائح

زوجة أحمد

التي يتلقاها ابني من أبيه يقشعر لها بدني.. حدث مرة أن عاد من المدرسة وعلى وجهه آثار لكمة قاسية، وسأله أبوه عمن ضربه، فقال إنه أحد زملائه.. وعاد يسأله: «وضربته انت كمان ولا لا؟» وقال عمرو: إنه لم يتمكن من ضرب زميله، فخاصمه أبوه، ولم يصالحه إلا عندما عاد بعد يومين وأبلغه أنه ضرب زميله.

شيء واحد كان لي الفضل فيه وهو أني علمت ابني كل الفضائل.. وأول فضيلة منها هي عدم الكذب..
لم يكن «عمرو» يكذب أبدا..



من بين المشاكل التي صادفتني في تربية ابني هي مشكلة الضرب.

هل نضربه كعقاب له؟

ولم تقم هذه المشكلة إلا بعد أن بلغ ابني الخامسة من عمره، فقد بدأ في هذه السن يصبح عفرتيا صغيرا.. كان لا يهدأ.. ولا ينتصح.. ولا يأكل.. ولا ينام.. إلا بالخناق.. واستنفدنا جميع الوسائل التي يمن أن نعامله بها.. ولم يبق إلا الضرب!

وطلبت يوما من أبيه أن يضربه.. ولكن أحمد زوجي لم يطاوعه قلبه على ضرب ابنه.. لقد ذهب إلى غرفته وهو ينوي ضربه فعلا وأغمضت أنا عيني في انتظار أن أسمع صراخ ابني.. ولكني لم أسمع شيئا.. وطال انتظاري، فذهبت إلى الحجرة لأرى زوجي جالسا وابنه على ركبته يحاول أن يتفاهم معه بالمنطق!

وابتسمت

زوجة أحمد

ارتحت لأن أحمد لم يضرب ابنتنا.
ومن يومها توليت أنا عملية الضرب، ولم أكن أضربه إلا إذا
كرر نفس الخطأ أكثر من مرة.. ولم أكن أضربه وأنا ثائرة
الاعصاب فقد كنت أخاف عليه من أعصابي.. أخاف أن اشتد
واتمادي في ضربه أكثر من اللازم.. وإنما كنت اشتراط في
نفسى عندما كنت أضربه أن أكون متمالكة لأعصابى حتى لا
أخرج عن حدى، وينتهى العقاب إلى نتائج سيئة، أقلها تكوين
عقدة في نفس الطفل تدفعه إلى الثورة على أهله، وتدفعه إلى
تحديهم، وإلى الكذب عليهم..

كما كنت أحرص على أن أضربه فى مواضع معينة، فلم
يحدث أبدا أن ضربته على وجهه مثلا.

والواقع أن أسلم طريقة هى أن تتولى الأم ضرب الابن فى
صغره، وفى الحالات التى تقتضى الضرب، أما الأب فيجب ألا
يستعمل سلاح الضرب لأن الضرب يقلل من هيئته، وهو يجب
أن يبقى دائما مهيبا أمام ابنه.

يجب أن يحترم الابن أباه لا أن يخافه.. والضرب يقلل من
احترام الأب، إلى أن يأتى اليوم الذى يصبح فيه الابن لا يحترم
أباه ولا يخافه.. لأنه سيعلم مدى ما يستطيع الأب أن يصل إليه،
وهو الضرب وسيتعود الابن على الضرب حتى يصبح لا يخافه،
وسيبدا فى محاولة الدفاع عن نفسه ضد هذا الضرب فيفقد
احترامه لأبيه

ثم ان الضرب يجب ان تعقبه عاطفة فياضة حنونة رقيقة،
لتمحو آثاره من نفس الابن قبل ان تتركز هذه الآثار فى عقد
نفسية، وهذه العاطفة هى عاطفة الأم.. لا عاطفة الأب.

زوجة أحمد

ورغم انى ضربت ابنى كثيرا إلا انى لم افقد حبه لى أبدا.. بل كان مظهر حبه لى اقوى بكثير من مظهر حبه لاييه.. لدرجة ان زوجى أحمد كان احيانا يغار منى لان ابنتا يلجأ إلى فى غضبه وفى رضائه أكثر مما يلجأ إليه.. وطبعاً لم يكن يظهر هذه الغيرة امام ابنى أو فى حديثه إليه، ولكننا كنا نتخذ منها موضعاً للمداعبة والضحك بيننا نحن الاثنين.. اما امام الاولاد فكان أحمد يؤيدنى دائماً حتى لو كنت على خطأ، وكنت أؤيده فى رأيه حتى لو كنت اختلف معه فيه.

وإذا خلا أحدنا بالأولاد فكان يتحدث عن الآخر حديثاً كله حب واحترام وتمجيد.. كنت اقول لهم ان اباهم هو اعظم رجل فى مصر.. وكان يقول لهم ان امهم هى افضل واجمل سيدة فى العالم كله.

واذكر ان أحمد ضرب ابنه مرة واحدة فى حياته، وذلك عندما دخل البيت فوجده يمزق كتاباً من مكتبه . وزوجى من هوة الكتب.. وهو يحب مكتبته وينظمها وينظفها بنفسه.. ويتمادى فى جمع الكتب إلى حد انه اقترح ان يغطى جدران الشقة كلها بالكتب.. فعندما رأى ابنه يمزق كتاباً، فقد اعصابه مرة واحدة وضربه.. ضربه - للأسف - بالشلوت!

وقد بهت عمرو.. لم يبك ولم يصرخ، انما ظل مبهوتا عدة ساعات.. اما أحمد زوجى فقد افاق لنفسه واحس بالأسف والندم، ولكنى منعتة من ان يبدى أسفه لابنه . وذهبت أنا إليه - إلى ابنى - وقلت له ان أباه كان على حق فى ضربه لان الكتب هى أهم شئ فى البيت، وهى التى جعلت من أبيه رجلاً عظيماً، ثم سحبتة من يده وذهبت به إلى أبيه واقنعتة بأن يعتذر له.

زوجة احمد

من يومها وعمرو - فى صفرة - يحطم كل شىء فى البيت،
ولكنه لا يقرب المكتبة ابدا..



إنى اكتب هذه الذكريات من الاسكندرية، وأنا جالسة تحت
المظلة الكبيرة على شاطئ سيدى بشر.. وابنتى «زينب» - وهى
الآن فى الثانية عشرة من عمرها - جالسة مع بعض صديقاتها
تحت الشمسية القريبة، وهن يتحدثن أحيانا بصوت أسمعنه،
وأحيانا يتحدثن بصوت لا أسمعنه.. يتهامسن.. والهمسات فى
حياة البنات تبدأ فى سن الثانية عشرة.. اما ابنى «عمرو» - وهو
فى العاشرة من عمره - فإله يعلم أين هو.. لعله فى البحر، ولعله
فوق «الصخرة»، ولعله يلعب «الراكت» على الشاطئ.. وقد
تعودت ألا اسأل نفسى أين «عمرو» طول النهار الذى نقضيه
على الشاطئ ولكنى اسأل نفسى «اين زينب» فى كل دقيقة!

ونحن نقضى الصيف فى الاسكندرية كل عام وعلى شاطئ
سيدى بشر بالذات.. ولم يحدث هذا منذ بدء زواجى، بل مرت
خمسة اعوام طوال لم تكن ميزانيتنا خلالها تسمح بالتصيف..
كنا خلال هذه السنوات الخمس نذهب الى الاسكندرية مرة أو
مرتين كل صيف، ولا نبقى فى كل مرة أكثر من يومين.

وبدأت أنظم قضاء الصيف فى الاسكندرية منذ أن ارتفع
دخل زوجى احمد، واصبحت أستطيع أن اوفر ما يكفى لقضاء
شهر ثم شهرين ثم ثلاثة أشهر هناك.. وكنت فى أول الامر
استأجر شقة مفروشة لا يقل ايجارها عن ثلاثين جنيها فى
الشهر.. ثم اكتشفت أنه اوفر لى ان استأجر شقة خالية لمدة
العام كله.. وقد وجدت شقة قريبة من البحر مكونة من حجرتين

زوجة أحمد

وصالة، ايجارها ستة جنيهات.. ولم اصرف مليما واحدا على تأثيث هذه الشقة بل كنت كلما اشتريت شيئا من الاثاث الجديد لبيتنا فى القاهرة، نقلت الاثاث القديم لبيتنا فى الاسكندرية.. وهكذا أصبحنا نقضى الصيف كله فى الاسكندرية.. منذ أن تنتهى امتحانات المدارس إلى أن تبدأ الدراسة من جديد.. بل اننا نذهب هناك فى فترات من الشتاء ايضا.. فى شم النسيم، وفى اجازة نصف السنة، واحيانا فى العيد.. واحيانا يضطر احمد للسفر الى الاسكندرية لقضاء بعض اعماله فيقيم هناك فى بيتنا.

وقد كنت أستعد لقضاء الصيف طول العام.. أبدا فى الاستعداد للصيف القادم منذ ان ينتهى الصيف الحالى . كنت اضع كل شهر جنيهين فى «حصالة» زينب، وجنيهين فى «حصالة» عمرو وأفهمهما ان حصالة كل منهما لن تفتح الا فى الصيف.. وعودتهما ان يشتركا بأنفسهما فى عملية «التحويش» هذه، فكان كل منهما يضع فى الحصالة ما يفيض عن مصروفه، وما يفيض عن «عيدية» العيد التى يعطيها لهما جدهما وجدتهما وبقية افراد العائلة.. وكنت فى الوقت نفسه احتفظ «بحصالة» لنفسى، اضع فيها ما أوفره من ميزانية البيت، وما يفيض من يدى.. ثم كنت احتفظ بدفتر توفير - غير الحصالة - اضع فيه كل شهر اقصى ما يمكننى تدبيره.

وكل ذلك من أجل الصيف..

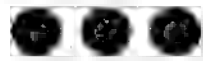
إن مصاريف الصيف كثيرة، وأنا افضل «البحبحة» فى الصيف حتى تتم متعة الاجازة.
وكنت أذهب إلى الاسكندرية وحدى مع الاولاد، بينما يأتى

زوجة أحمد

إلينا أحمد كل اسبوع لقضاء «الويك اند» بعد ان ألغى اجازته السنوية واصبحت قاصرة على خمسة عشر يوما كل عام، لكثرة أعماله.

وكنت فى بادئ الأمر اتضايق واتردد كثيرا قبل أن أترك أحمد وحده فى القاهرة. وكان أحمد من ناحيته يلح على ان اسافر مع الاولاد عندما يهل الصيف.. وكان إلحاحه هذا يضايقنى، كان يخيل إلىّ انه يريد ان يتخلص منى، فكنت اعاند، وأؤجل السفر اسبوعا بعد اسبوع ثم كنت اقول: «اما اننى عبيطة.. ما تسافرى وتنبسطى»!

وكنت أسافر على مضض، وكأنى اتحدى زوجى.. ولكنى لا البث ان اكتشف ان أحمد كان على حق، وأنى كنت أنانية عندما اردت ان احرم الاولاد من بعض ايام الصيف.. ولم ألبث ان اكتشف ايضا انى كنت فى حاجة فعلا الى ان ابتعد عن أحمد بضعة ايام كل اسبوع.. ان نغير نظام حياتنا. وكان مجيئه الى الاسكندرية فى «الويك اند» بعد غيبة ايام، بمثابة «فرح» جديد لى. بمثابة رد الروح الى شبابنا



لم يحدث أبداً ان تقدمت زوجى ونحن سائران فى الطريق، بل دائما اسير بجانبه، وكتفى يكاد يلتصق بكتفه، ثم إنى لا أحب ان أرى زوجى يحمل لى مشترياتى.

والمرات التى خرجت فيها أنا وزوجى لنطوف بالمحال التجارية، مرات قليلة. وفى كل هذه المرات خرج معى زوجى رغم انفه ولجرد ارضائى فهو لا يحب ان يطوف بالحوانيت، ويعتبر الرجل الذى يطوف بالحوانيت مع زوجته، رجل فاضى فارغ،

زوجة أحمد

عاطل. ولكنى لم أكن أقره على رأيه، وكان زوج اختى يخرج معها دائما كلما ذهبت لتشتري لنفسها شيئا، وكان يشترك معها فى انتقاء ثيابها واحذيتها وكل شىء.. بل كان يذهب معها الى الكوافير ثم يعود ليصحبها الى البيت.

وكنيت فى بدء زواجى أعتقد أن زوج اختى هو الزوج المثالى.. فحاولت ان يكون أحمد مثله.. أن يصحبنى الى الصالون الأخضر وهانو وسعيد الجزمجى.. ولكنه رفض.. رفض بشدة، ولكنى الحقت واخذت ألح حتى رضى أخيرا ان يصحبنى الى الحوانيت.

وكنيت فخورة وأنا أسير بجانبه كأنى أتباهى به.. وكنيت ادخل كل محل مرفوعة الرأس منتفخة الوداج - كما فى القصص - كأنى جئت لأعرض عليهم زوجى.

ولاشك ان وجود الزوج مع الزوجة يمنحها الثقة والتباهى.. ويشعرها انها انسان كامل.

ولكنى بعد ربع ساعة فقط، وبعد أن دخلنا أول محل، بدأت اندم على مصاحبة أحمد لى.. كان قد بدأ يبدو عصيبا، وكان كأنه محرج.. كأنه يركب فى عربة الحريم بالترام، وبدأ يهمس فى اذنى بين كل دقيقة وأخرى «ياللا بأه ياللا بأه» وكنيت كلما استشرته فى شىء قال فى عجلة: «كويس.. كويس خالص» وإذا أتعبت البائع قليلا، زادت عصبيته، ونظر إليه - الى البائع - كأنه يعتذر له عن قسوة زوجته، وعندما ابدأ فى «الفصال» والمساومة، يدير وجهه عنى، كأنه يخجل منى ومن تصرفاتى.

كاد يصرخ فى وجهى، عندما دخلت احد الدكاكين، وقلبت مجموعة كبيرة من الاقمشة، ثم لم اشتر شيئا. وقطعا إن البائع

زوجة أحمد

لم يغضب ولم يحتج وخصوصا انى زبونة قديمة فى المحل، ولكن زوجى جن.. ثم صمم على ان يشتري شيئا، ونظر إلى كآئه سيقتلنى، إذا لم أشتري شيئا، واضطرت فعلا ان اشتري «مترين شريط» لم اكن فى حاجة إليهما.

وكانت هذه هى اخر مرة اخرج فيها مع زوجى للطواف بالمحال التجارية.. واصبحت دائما اشترى.. بل وصل الحد إلى انى اصبحت أشتري له قمصانه وحبله دون ان يكون معى ودون ان يبدى رأيه . فقد كان من مبادئه ان الزوجة هى المسئولة عن وجاهة زوجها.



هل حدثتكم عن الاجازات الزوجية؟!

لقد بدأت الاجازات الزوجية فى حياتى بالصدفة.. وكان ذلك بعد خمس سنوات من زواجى.. لم يكن حبنا قد خفت ولم يدخل فى حياتنا ملل، ولكن حياتنا كانت قد انتظمت فى روتين معروف، خال من المفاجآت ومن الهزات.

ثم فجأة اضطر أحمد أن يسافر الى اوروپا لمدة شهر فى مهمة خاصة وفى نفس الوقت الذى سمعت فيه بخبر هذه البعثة احسست بقيمة احمد فى حياتى كما لم أحسها من قبل، احسست انى لن استطيع ان اعيش اذا تركنى وسافر الى اوروپا ولو لشهر واحد.. أحسست بقلبى يضطرب ويكاد ينخلع من مكانه.

واخفيت الكثير من شعورى، فقد كان أحمد فرحا بهذا السفر، وكانت فرحته تغيطنى.. كان يخيل إلى انه سعيد لانه سيتخلص منى.. ولكنى رغم ذلك حاولت ان أبدو وكأنى أشاركه

زوجة أحمد

الفرحة.. وربما كنت فرحة فعلا نوعا ما، فهذه البعثة كانت خطوة كبيرة فى مستقبله.

وقضينا أياما أعده للسفر.. وكنت انتظر منه فى هذه الايام انه سيتألم لفراقى وسيعطينى حنانا اكثر مما عودنى واقبالا اكثر.. ولكنه فى هذه الايام كان بعيدا عنى كأنه سافر فعلا.. كان «سرحان» دائما، وكانت لهفته على السفر قد اخذته منى تماما.

وسافر.. ولم أودعه فى المطار، فقد كره أحمد ان يكون وداعنا امام زملائه المسافرين معه.. ودعته فى البيت . ولم أبك . بل لم اقبله كما كنت اتخيل قبلة الوداع.. بل قبلته قبلة سرحانة، ووضعت فى جيبه «مصحفا» صغيرا.. ودعوت له بالسلامة.. ثم قلنا نحن الاثنين كلاما لا معنى له.. مجرد كلمات مجاملة. ثم أدار ظهره وخرج.. وبمجرد أن خرج بكيت.. بكيت كثيرا.

وبمجرد ان سافر أحمد احسست ان حياتى كلها فراغ.. لم اعد اجد شيئا اعمله واشغل به وقتى . لم اكن. اعتقد ان أحمد هو كل شىء فى حياتى.. لم اكن اعتقد ان مجرد انتظاره حتى يعود من عمله يشغل حياتى إلى هذا الحد.

ومرت الايام مملة.. اصبحت اتناول غدائى فى الساعة الواحدة بدلا من الساعة الثانية والنصف، فلم يعد هناك من انتظره، وكنت أتناوله بلا «نفس» وأعده بلا اهتمام.. اخرج كثيرا، بلا «نفس» ايضا.

كان كل ما يملأ حياتى هو انتظار خطابات. ومرت ايام طويلة قبل ان يرسل شيئا.. ثم بعد سبعة ايام استلمت منه بطاقة عليها كلمة واحدة «وحشتينى».. وكدت أجن.. تمنيت لو كان امامى لأخدش وجهه . ولكنى بعد ان هدأت بدأت ألتمس له الأعذار..

زوجة أحمد

لا بد انه مشغول.. والمسافر عذره معه..
وجلست أكتب له خطابا طويلا طويلا جدا.. ويعد أيام،
جاعنى الرد.. رد قصير جدا!! وايضا التمسست له الأعذار وقلت
لنفسى مرة ثانية. المسافر عذره معه..
ثم عاد..



كان قد انقضى شهر وسبعة ايام على سفر زوجى إلى
أوروبا، عندما جاعتنى منه برقية يبلغنى انه سيعود إلى بعد ثلاثة
أيام..

ورفرف قلبى وأنا أقرأ البرقية، كائن فتاة صغيرة ستلتقى
لأول مرة بأول رجل فى حياتها.

وبدأت استعد للقاءه.. وخيل الى أن الأيام الثلاثة لا تكفى
لأعد نفسى اليه.. كنت اشعر كائن عروس مقبلة على ليلة
زفافها. أحسست بكل ما تشعر به العروس . اللهفة، والفرحة،
واللخمة . بل أحسست بالخوف ايضا خوف العروس من الليلة
الأولى.

واستعددت بكل ما تستعد به العرائس.. حتى انى اشتريت
لنفسى قميص نوم جديدا!! وقلبت البيت كله رأسا على عقب،
كائن أفرشه من جديد، واحترت ماذا اوصى الطباخ ليعده من
طعام فى يوم العودة..

ولم أنم.. لم أنم ثلاثة ايام . وخفت ان يكون الأرق قد ترك
آثاره على وجهى فذهبت الى مدام «بالوك» لتجرى لى عملية
مساج وتنشيط فى بشرتى.. وخرجت من عندها الى الكوافير..
و..

زوجة أحمد

وجاء يوم العودة..

ولم أطق أن أنتظره في البيت كما كان يوصيني في خطابه،
فذهبت الى المطار . واكتشفت انى ذهبت قبل موعد وصول
الطائرة بساعة كاملة.. وخفت أن يفسد الانتظار من زينتى، فكنت
أدخل كل ربع ساعة وأقف امام المرأة .

واخيرا وصلت الطائرة.. وقلبي يخفق.. ورأيته ينزل منها وهو
يتلفت حواليه كأنه يبحث عني.. وعندما رآني انفرجت كل
أساريره كأن كل قطعة منه تقفز نحوى

وحاولت كثيرا أن احتفظ بهدوئى امام الناس وامام زملائه..
فتقدمت اليه بخطى بطيئة، ثم لم استطع فجريت إليه وألقيت
نفسى بين أحضانه. وانا اكاد من فرحتى ابكى . بينما زملاؤه
ينظرون إلينا ويبتسمون ابتسامات طيبة حلوة.

وقبلنى احمد ثم احس بوجودنا فى المطار، فقاوم نفسه
حتى لا يقبلنى اكثر..

وقال لى ونحن فى الجمرك انه كان يتمنى طول الطريق ان
يجدنى فى انتظاره رغم انه طلب منى فى خطابه ألا أنتظره، فى
المطار..

وتعجلنا اجراءات الجمرك، وقد خيل إلينا انها طالحت حتى
اتت على عمرنا كله.. ثم هرعنا الى البيت.. وطول الطريق وىدى
فى يده، ورأسى على كتفه .

ولم ننتظر ان ندخل الى حجرتنا، بل ما كدنا نخطو داخل
البيت حتى اخذنى احمد بين أحضانه وضغط على بقوة كأنه
يريد ان يشق صدره ويدخلنى فيه. ولخبط ما صنعه الكوافير!
وجاء الاولاد فلم يجدوا لهم مكانا بيننا . الى ان التفت اليهم

زوجة أحمد

أحمد وحملهما بين ذراعيه، فرحا بهما كأنه غاب عنهما سنين طويلة..

وبدأنا فى فتح الحقائب ليخرج لعمرو وزيزت ما حملة لهما من هدايا.. ثم أغلق الحقائب قبل أن يعطينى هديتى، وأخرج الأولاد، وأغلق الباب.. كان أعز هدية حملها إلى، هى نفسه.. زوجى!

وقضينا اسبوعا كأنه شهر العسل . كان لا يشبع منى.. وكان يقص على ذكرياته فى أوروبا، وكأنى أسمع تاريخ حياته لأول مرة.. تاريخ حياة حبيب جديد.

وكانت هذه أول تجربة لى فى الاجازات الزوجية، واصبحت أكررها كل عام دون أن أبدى أنى اتعمدها. انما كنت أبحث عن وسيلة ليسافر بها أحمد أو أن أسافر أنا وحدى الى الاسكندرية. لنشعر فى فراقنا باللهفة والشوق، ثم نشعر بحلاوة اللقاء..



لقد كنت أكتب لكم عنى «أنا وزوجى»، واعتقد أنى كتبت ما فيه الكفاية . وما بقى لا أستطيع أن أكتبه، فأنى كزوجة أستطيع أن اضع تقاليد ونظما لكثير من نواحي حياتى الزوجية، ولكن ليس لكل النواحي . وفى حياة كل الزوجات اشياء لا يمكن أن تحكمها حلول ثابتة، بل يتصرفن حيالها بوحى الخاطر.. كل زوجة حسب ذكائها!

وفكرت أن أكتب عنى «أنا والناس»!

أن الزوج يعيش معك فى البيت الصغير.. والناس يعيشون معك فى البيت الكبير.. والتى تستطيع أن تكون سعيدة فى بيتها

زوجة أحمق

الصغير، تستطيع ان تكون سعيدة فى البيت الكبير..
واكثر من ذلك.. إنك لن تستطيعى ابدا ان تكونى سعيدة مع
الناس، ان لم تكونى سعيدة مع زوجك.. والعكس.. لن تكونى
سعيدة مع زوجك إن لم تكونى سعيدة مع الناس.. إن زوجك فى
بعض نواحي علاقته بك هو مجرد واحد من الناس.. فإذا تعلمت
فن معاملة الناس، تعلمت ايضا فن معاملة زوجك..

فن المناقشة مثلا.. إنك محتاجة الى مناقشة الناس، كما إنك
محتاجة الى مناقشة زوجك.. وأراؤك فى الأفلام السينمائية التى
تقولينها لزوجك، هى نفسها الآراء التى تقولينها للناس، فإذا
استطعت ان تكون لك آراء ناضجة، وان تسردها بأسلوب ممتع
ليس فيه حدة ولا تحد، كسبت إعجاب الناس وإعجاب زوجك!
هذا هو رأى..

وأول ما يصادفنى فى معاملة الناس هو ما نسميه النفاق!
وقد أردت ان أعرف: هل انا منافقة؟
ومن عادتي أن أسكت عن اشياء كثيرة لا تعجبني، فهل هذا
السكون يعتبر نفاقا!!
لا أظن..

إنى دائما أسأل نفسى قبل ان اقول رأى: ماذا ستكون
نتيجة ابداء هذا الرأى؟ فإذا كان نفعه اكثر من ضرره، قلته..
وإذا كان ضرره اكثر من نفعه، سكت!!

ولى صديقة تعودت أن تقول أراها بصراحة وبانطلاق مهما
كانت نتيجة هذا الرأى، وتقابلت مرة مع صديقة اخرى، وما
كادت ترفع عينيها اليها حتى صرخت فيها: «ايه الفستان اللى
انتى لابساه ده. الحقيقة انه وحش خالص.. و..و...» فماذا

كانت النتيجة؟

اتهمت صاحبة الفستان صديقتى بأنها تغار منها، واتهمتها بقلّة الأدب، ولم تقتنع برأيها، ثم بدأت هى الأخرى تشهر بذوقها فى اختيار ثيابها!

وأعترف ان الثوب الذى انتقدته صديقتى كان «وحش خالص». ولكنى لو كنت مكانها لما قلت رأى لأن مثل هذا الرأى لن يؤدى إلى نتيجة، بل يؤدى إلى نتيجة عكسية..

لو كنت مكان صديقتى، وكنت فعلا مخلصه لصاحبة الثوب، لانتظرت مناسبة قريبة، وبدأت أعرض عليها ألوانا أخرى من الثياب، سواء فى كتالوج، او من ثيابى الخاصة. دون ان اشير الى ثوبها او إلى ذوقها، ثم اتركها تقارن بين ما اعرضه عليها وبين ما اختارته لنفسها.. ولا شك انى سأنتهى إلى نفس النتيجة التى ارادتها صديقتى، وهى اقناع صاحبة الثوب بان ثوبها «وحش خالص»!

فقيمة الرأى، ليست فى الرأى ذاته فقط، بل فى طريقة ابدائه بحيث تقنع به الناس.. وهذا ليس نفاقا. ولكنه فن..

وهو فن يحتاج إلى أعصاب قوية.. ويحتاج إلى الإحساس بان كل واحدة منا محتاجة الى صداقة كل الناس، إلا اذا قررت ان بعض الناس لا يستحقون صداقتها..

ورغم ذلك فأنا نفسى أفقد اعصابى احيانا واقول آراء كنت فى غنى عنها. وآخر مرة فقدت فيها اعصابى كانت منذ ايام فى النادي الاهلى..



انكم تعلمون أنى وزوجى وأولادى، أعضاء فى النادي
الاهلى..

والنادى الاهلى يضم مجتمعا مصريا خالصا. ويضم كل
خيرة المجتمع المصرى، وما يترتب على هذه الخيرة من عيوب
واخطاء..

وقد عودت نفسى منذ التحقت بالنادى، على ان احتمل اخطاء
مجتمعه. انها اخطاء تعودناها فى بيوتنا، وفى الشارع، وبين
اصدقائنا.. وبلغ من تعودنا عليها اننا اعترفنا بها كحقيقة فى
حياتنا، ولم نعد تناقشها.

ولكن كان هنا خطأ واحد فى مجتمع النادي يثير أعصابى،
ولم أتمكن أبدا من تجاهله.. واذا ذكرت لكم هذا الخطأ الآن،
فلأنى أصر على اصلاحه. لا لأنى اريد التشهير بالنادى الذى
احبه واحترمه واطمئن فيه على ولدى وابنتى. وانما فقط لأنى
مصرة على الاصلاح.

ان بين النادي الاهلى فريقا من الرجال المحترمين - واقصد
انهم فعلا محترمون - يواظبون على الحضور يوميا، ولكنهم لا
يصحبون معهم أبدا زوجاتهم أو بناتهم أو أمهاتهم أو
شقيقاتهم.. انهم يحضرون بلا نساء وعذرهم انهم متمسكون
بالتقاليد القديمة التى لا تسمح «لحريمهم» بالتردد على النادي..
والعذر مقبول، اذا افترضنا ان عقلية هؤلاء الاعضاء عقلية
رجعية.

ولكن هذه العقلية التى تفرض نفسها على «الحريم» لا تفرض
نفسها على نفسها.. فإن أصحابها يأتون الى النادي ثم يبيحون

زوجة أحمد

لأنفسهم أن يجلسوا مع زوجات الآخرين، وشقيقات الآخرين ،
وبنات الآخرين.. بل ان بعضهم يشترك ايضا فى حفلات الرقص
التي يقيمها بعض شباب النادي..
ولم أكن أحتمل..

لم أكن أحتمل ان ارى واحدا منهم يجلس مع زوجة صديقه،
ثم يمنع زوجته من ان تجلس مع نفس الصديق..

. إنه يؤمن بأن زوجته - لأنها شريفة وعريقة - لا يجب ان
تأتى الى النادي .. فماذا يعتقد فى زوجة صديقه ؟ اذا كان
يعتقد انها ايضا شريفة وعريقة فلماذا لا يحتج لدى صديقه على
حضورها الى النادي؟ .. ولماذا لا يطلب الى ادارة النادي ان تمنع
عضوية النساء والبنات؟ وكيف يبيع لنفسه من الحقوق على
زوجة صديقه، مالا يبيحه من حقوق لصديقه على زوجته؟!

كان هذا الوضع يثيرنى.. وكلما فكرت فيه ركبتنى العفاريت
.. ولم افكر طبعاً فى أن امتنع عن التردد على النادي، ولا ان
امنع بقية السيدات من التردد عليه احتجاجاً على وجود هؤلاء
الاعضاء.

ولكنى فكرت فى أن اطلب من ادارة النادي ان تخصص
مكاناً قصياً من النادي لكل عضو لا يـصحب زوجته معه، او
لا يسمح لها بالتردد على النادي .. وان يحاط هذا المكان بالسـتائر
الكثيفة، حتى لا يتمتع هؤلاء الاعضاء برؤية زوجات الآخرين، كما
أن الآخرين لا يتمتعون برؤية زوجاتهم .. وكفاهم ان يتمتعوا
برؤية بعضهم البعض .. بعيداً .. كالمنبوذين .. الى ان يؤمنوا
برسالة النوادى الاجتماعية..

وطبعاً لم أتقدم بهذا الاقتراح، ولكن حدث ان جاء واحد

زوجة أحمد

منهم، وجلس على مائدتنا.. فلم استطع ان احكم لسانى فقلت :
- امال فين المدام ؟
واحمر وجهه، وتلجلج لسانه ثم قال وهو لا يستطيع أن ينظر
إلى:
- والله احنا ناس فلاحين ياهانم .. ستتنا ماتعرفش تيجى
النادى!

قلت وأنا أنظر اليه فى تحد :
احنا كمان فلاحين .. واجوازنا علمونا ازاي نيجى النادى!!
وتدخل زوجى ليغير الموضوع، فقد كان يعرف ثورتى ..
ولكنى انتظرت الى ان قام العضو المحترم لينصرف من على
مائدتنا، فقلت له وانا ابتسم كئى امزح :
- الدور الجاى مش حانقعدك معنا إلا والمدام معاك!!
ولم تأت «المدام» أبدا الى النادى .. ولم يجلس معنا أبدا من
يومها !
والحمد لله .. ان عدد هؤلاء الاعضاء قلة فى النادى لا تشوه
جماله..



أشد ما يحيرنى فى معاملة الناس، هى معاملة الرجل الأعزب!
أين مكانه فى مجتمع يضم أزواجا وزوجات؟
إنها مشكلة ، لابد ان كل زوجة عانت منها وفكرت فيها..
فإذا ذهبت الى السينما انا وزوجى مثلا ، فهل يصح ان
ندعو معنا صديقا اعزب؟
وإذا دعونا .. هل ندعوه وحده، أم ندعو معه صديقة ليست

زوجة أحمد

متزوجة، حتى يكتمل لنا المظهر الاجتماعي الصحيح؟
وإذا دعونا معه أنسة أو سيدة ليست متزوجة ، فهل نتحمل
نحن كلام الناس عندما يرون معنا صديقا اعزب، وصديقة ليس
لها زوج .

إن الناس قد تعتقد أن هناك مشروع زواج ، وقد تعتقد ان
بينهما حبا .. وقد .. وقد .. ولن يكف الناس عن الكلام
وسيبتكرون الف حكاية وحكاية .. فما ذنبنا نحن لنتحمل
مسئولية هذا الكلام؟!

وإذا لم ادع صديقنا الاعزب الى السينما، وإنما دعونا الى
الغداء مع فريق من الاصدقاء وزوجاتهم .. فأين أضعه على
المائدة ؟ هل أضعه بجانب احدى الزوجات واترك أحد الأزواج
وليس بجانبه سيدة ؟! أم أضعه بجانبى - على يمينى - تكريما
له وتخفيفا عن مصابه فى وحدته؟! أم اضطر ان ادعو سيدة
ليس لها زوج أو أنسة ليتم الوضع الحسبى للبروتوكول
الاجتماعى؟

إنها حيرة كبيرة يسببها الرجل الاعزب..

وهى حيرة يتسبب عنها كثير من المصائب .. وأنا اعرف
سيدات - من افضل الزوجات - لاكت سمعتهن المجالس،
وتحدث عنهن الناس حديثا وقحا، لا لشيء إلا لأن لأزواجهن
أصدقاء «عزاب» يصاحبونهم باستمرار. ويبدون معهم فى كل
مجتمع، ومعهم - مع الأزواج - زوجاتهم..

وأنا أثور على هذه الاحاديث والشائعات .. ولكن هذه هى
حال مجتمعنا!!

وقد تعودت أن أخالف المجتمع فى كثير من تقاليده.. وتعودت

زوجة احمد

ألا اهتم بكلام الناس، إلا فيما يمكن أن يؤثر على مركزى الاجتماعى وحياتى الزوجية .. ولكنى رغم ذلك، حسبت حسابا كبيرا لاختلاط الاصدقاء العزاب بنا.

وقد قررت فيما بينى وبين نفسى، ألا أدعو «العزاب» الى بيتنا الا فى الحفلات الكبيرة التى يزيد عدد المدعوين اليها على عشرة.. حتى يذوبوا فى هذا المجتمع الكبير ولا يبدو وضعهم الشاذ..

أما إذا أراد زوجى ان يدعو صديقا اعزب، أو بضعة اصدقاء عزاب الى البيت.. فانى اكتفى بأن أحبيهم وأرحب بهم بصفتى سيدة البيت. ثم اجلس معهم قليلا الى أن تقدم القهوة أو الشيكولاتة، ثم انسحب واترك الجلسة خالصة للرجال .

وقد حرصت ألا يكون لى - أنا وزوجى - صديق أعزب - «انتيم» - أى صديق يدخل البيت لا تكليف.. فاذا كان لزوجى صديق أعزب «انتيم» فإننى اتركه يخرج معه وحده، فى غير الأوقات التى نخرج فيها معا..

ولم تؤثر هذه «القرارات» فى صداقة الرجال العزاب لنا.. بالعكس خيل الى أنهم ازدادوا احتراما لى.. ورغم ذلك فهناك سيدات كثيرات يخالفننى فى مسلكى، ويتهمنى بأننى متزمتة، وانى «ازودها حبتين» فما رأيكم؟..



لا تندهشوا عندما أقول لكم انى مارلت مؤمنة بنظام «المقابلة» أى يوم «الاستقبال»!
كانت والدتى - عندما كنت صغيرة - تحدد يوما كل اسبوع

زوجة أحمد

يزورها فيه صديقاتها يسمى يوم «المقابلة».. وكانت كل جاراتنا تفعل مثلها.. وبعضهن كن يحددن يوما واحدا في الشهر او يومين.. وانكر ان يوم مقابلة والدتي كان دائما يوم الاثنين.. اما خالتي فكانت تحدد لمقابلتها يوم الأربعاء من كل شهر..

وقد أهملت والدتي نظام المقابلة.. وكذلك فعلت كل جاراتنا.. وانقضى عهد هذا التقليد الجميل.. لا أدري لماذا؟! ربما لان المجتمعات لم تعد قاصرة على النساء، وربما لان النوادي والجمعيات والسينمات والمطاعم سرقت من البيوت ندواتها النسائية.. سرقت «نظام المقابلة»!

ولكني أعدت هذا النظام في بيتي، وحددت يوم الاثنين من كل اسبوع - نفس اليوم الذي كانت تختاره والدتي - لتزورني فيه صديقاتي، وكلهن الآن يعلمن أني في هذا اليوم أكون دائما في البيت ابتداء من الساعة الرابعة مساء ولا أخرج منه.. وأكون ايضا مستعدة لاستقبالهن.

.. وأول مظاهر هذا الاستعداد هو أن امنح زوجي احمد اجازة مني!

وقد قررت لنفسى هذا النظام بعد ان لاحظت الملاحظات الآتية:

● في كل المجتمعات المختلطة اجد ان السيدات - بلا عمد منهن - ينفصلن عن الرجال.. كل طائفة تجلس في ناحية، وكل طائفة تتحدث في مواضيع لا تهم الطائفة الأخرى.. فلماذا لا تجتمع السيدات في يوم خاص بهن، ليكن أكثر حرية.. وحتى يقلن كل ما عندهن، وبعدها يشتن للرجال، فاذا اجتمعن بهم لم ينفصلن عنهم..

زوجة أحمد

● كثيرات من صديقاتي يعرضن زيارتي في أيام أكون فيها استعداد للخروج.. ثم انهن لا يجئن في يوم واحد، بل كل منهن تجيء في يوم.. ومعنى ذلك أنى لو أردت أن أستقبل كل صديقاتي فلن أخرج من البيت أبدا.. فلماذا لا أحدد يوما معينا أستقبلهن فيه وأنتهى!

● النوادي والمجتمعات المختلطة لا تحقق الغرض من «المقابلة»! فان مجتمع السيدات الخالص له لذته وله تقاليده التي لا يمكن ان توجد في المجتمع الآخر.. مثلا اذا أرادت صديقتي أن ترينى جوربها هل تفعل ذلك أمام الرجال.. مش معقول!

● انى في هذا اليوم أستعد فعلا لاستقبال صديقاتي.. فأعد لهن الجلاش والشيكولاتة، وأستعد لأعرض عليهن كل جديد اشتريته.. وهو مالا أستطيع أن افعله كل يوم.. لهذه الأسباب قررت أن اعود إلى نظام المقابلة..

فهل توافقننى؟!

وهل تفعلن مثلى؟!



أريد أن أحدثكم عن الرقص.. الرقص الافرنجى! وانا أعلم ان هذا الموضوع سيثير غضب فريق كبير من الناس الذين يعتقدون ان الرقص عيب... وكفر.. ورجس من عمل الشيطان!

ولكننا لم نعد نستطيع أن نتجاهل الرقص.. لقد أصبح حقيقة واقعة في حياتنا الاجتماعية.. واولادنا يرقصون.. وبناتنا يرقصن.. وكل القصص المصرية والافلام المصرية تصور

زوجة أحمد

مشاهد الرقص.. وموسيقانا نفسها أصبحت تانجو، ورومبا،
وسامبا.. وروك أند رول.. وسيأتى قريبا اليوم الذى يقف فيه
عبد الحليم حافى يغنى، والناس يرقصون.. تماما كفرانك
سيناترا، وبنج كروسبى..
فما هى تقاليد الرقص؟!

ومع من نسمح للبنات أو للزوجة ان ترقص؟!
لقد كنت وأنا فتاة - قبل أن أتزوج - لا يسمح لى بالرقص
إلا مع عدد قليل جدا من شبان العائلة.. أخى، وزوج أختى، وابن
عمى.. وفى حضور أمى، وطنط، وباقى عجائز العائلة.. ولم يكن
هذا يحدث إلا مرات نادرة، وفى مناسبات خاصة.. أما باقى
الايام.. فكنت أرقص مع صديقاتى.. وأرقص أحيانا «كفالييه»
وأحيانا «دام» واعتقد ان كل البنات يرقصن مع بعض.. فى
البيوت، وفى عنابر الداخلية.. سواء برضاء العائلة او بغير
رضائها.. وهن يرقصن بعضهن مع بعض فى انتظار اليوم الذى
يستطعن ان يرقصن فيه مع الرجال..

وبعد أن تزوجت قرر زوجى ألا نرقص، لا أنا ولا هو، رغم انه
يستطيع ان يرقص وأحيانا يحب ان يرقص.. وهو قرار يصدره
كل زوج فى الشهور الأولى من الزواج، وهو لا يزال «زوج جديد
حمش».. ولكن هذا القرار لا يلبث ان يفتر ويفقد قوته على مر
الشهور.. ويبدأ كل زوج يرقص مع زوجته.. وقد دفعنا
المناسبات والظروف الاجتماعية الى ان أرقص مع زوجى.. ثم
بدأنا نضع «لسته» او قائمة بأنواع الرجال الذين اسمح لنفسى
بان أرقص معهم.

وكان الشرط الأساسى فى الاختيار هو ان يكون الرجل ذا

زوجة احمد

عقلية تسمح له بان يحترم الرقص، ويفهمه على حقيقته.. وحقيقة الرقص هو أنه موسيقى، ورياضة، وتسلية بريئة. فالرجل الذي لا يهتم بالموسيقى، ولا يعتبر الرقص رياضة، ومجرد تسلية بريئة لا يصح الرقص معه..

ولا يصح أن أرقص أيضا مع رجل لا يسمح لزوجته وبناته بالرقص لأن معنى هذا أنه لا يفهم الرقص، وأنه يعتبره عيبا، فلا يصح أن يرتكب هذا العيب مع سيدة أخرى.. كما لا يصح أيضا أن أرقص مع رجل غريب، لا أعرفه، ولا أعرف زوجته وعائلته كلها..

وعندما ترقص السيدة، فيجب أن تعلم أنها المسئولة عن سلوكها أثناء الرقص وعن سلوك الرجل الذي يراقصها.. وقد رأيت سيدات كثيرات يبالغن في حركات الرقص، ورأيت سيدات يبالغن في الاستسلام للرجل فتلقى الواحدة بنفسها في صدره، وتسمح لخدّها بأن يلامس خده.. وكل هذا ليس من تقاليد الرقص، حتى في أوروبا نفسها.. يجب ان تراعى السيدة أثناء الرقص، اتزان خطواتها وحركاتها.. ويجب أن نفرق بين رقص فتاة لم تبلغ العشرين، ورقص سيدة متزوجة سواء تعدت العشرين أم لم تتعدها.. ويجب ان تحتفظ السيدة - والفتاة - دائما بمسافة معقولة تفصلها عن الرجل.. ولكي تضمن الابقاء على هذه المسافة يجب الا تلقى ذراعها كله فوق كتفه بل تكتفى بأن تلمس كتفه بكفها، وتترك ذراعها يفصل بينه وبينها.. ثم يجب ألا ترقص السيدة أو الفتاة مع رجل واحد طوال السهرة، أو ترقص مرتين متتاليتين بل يجب ان ترقص مع كل الرجال المحيطين بها، حتى لا يفهم الرقص على غير معناه..

زوجة أحمد

هذه هى بعض تقاليد الرقص - لا كلها - وخير لنا ان نضع للرقص تقاليد، بدل ان نتجاهله.. فإنى لن استطيع ان امنع ابنتى من الرقص، ولكنى استطيع ان اعلمها.. ما هو الرقص!



إن الحديث متعة.. متعة كبيرة..

والاستماع متعة.. متعة كبيرة أيضا!

ولكن أغلب الناس لا يتذوقون هاتين المتعتين.. أو لا يدرون كيف يتذوقونها.. وفى كل الاجتماعات أو «الزيارات» تجد الناس يتحدثون ويستمعون فى وقت واحد.. فيفقدون لذة الحديث ولذة الاستماع..

وفى معظم «الزيارات» تجد كل اثنين من المدعوين يتحدثان فى موضوع على حدة.. فإذا كان هناك عشرة مدعوين، تجد أن هناك خمسة مواضيع - على الأقل - تبحث فى وقت واحد..

والحديث الممتع ليس هو الحديث الذى يدور حول سيرة الناس، وليس هو الحديث الذى يثير الضحكات وتخلله نكات مفتعلة، وخفة دم متعمدة.. أبدا.. إن الحديث الممتع هو الذى يدور حول موضوع يهم السامعين.. ولباقة المتحدث هى فى اختيار هذا الموضوع!

والمسئولة عن كل هذا هى ست البيت أو صاحبة الدعوة..

فست البيت مسئولة أولا عن اختيار مدعوها بحيث لا يكون بينهم تنافر.. فلا تدعو واحدا من الغرب، وواحدا من الشرق.. بل يجب أن يكون بينهم رابط.. إما معرفة سابقة، أو اهتمام متبادل بمعرفة بعضهم بعضا، أو مزاج مشترك..

زوجة احمد

وست البيت مسئولة عن إدارة دفة الحديث.. فلا تترك الحديث يفتتر، أو يتعدد. وليس معنى هذا أن تتولى هي الحديث كله.. بل يكفي دائما ان تثير موضوعا وتترك مدعويها يتناقشون فيه..

وأنا أحاول دائما أن أعرف أى الكتب قرأها اصدقائي، وأى الأفلام شاهدوها، وأى الرحلات قاموا بها، قبل أن أدعوهم.. ثم انتهز فرصة دعوتهم وأطلب من أحدهم - بطريقة تبدو غير متعمدة - أن يروى لنا الكتاب الذى قرأه اخيرا، أو قصة الفيلم الذى شاهده، أو ذكرياته عن الرحلة التى قام بها..

وقد نجحت فى ذلك إلى حد كبير.. وأصبحت كل صديقاتى يفعلن نفس الشيء.. وأصبحنا نقضى أمسيات ممتعة نسمع فيها حديثا عن الديانة البوذية مثلا، أو عن القنبلة الذرية، أو عن تفسير القرآن.. الخ.

ولم تكن هذه الأحاديث تلقى علينا بشكل محاضرات.. بل كانت تلقى بشكل بسيط تتخلله المناقشات، والتعليقات الخفيفة.. وأصبحت زيارتنا التى تجمع بين الزوجات والأزواج، زيارات مفيدة بقدر ما هى مسلية..

واكتشفنا جميعا متعة الحديث.. ومتعة الاستماع..



أريد أن احدثكم عن.. الديك الرومى!
لم أحضر دعوة إلى الغداء أو العشاء إلا وجدت على المائدة..
ديكا روميا!
لماذا؟

زوجة أحمد

ما قيمة هذا الديك الرومى؟
ولماذا يكون الديك الرومى شعارا لتكريم الضيوف؟
من أين استوردنا هذه العادة؟
لا أظن أن حاتم الطائي أو الخلفاء الراشدين كانوا يذبحون
لضيوفهم ديكاً رومياً!!
وأنا شخصياً لا أحب لحم الديك الرومى، وأفضل عليه
الفراخ.. والحمام.. والموزة.. واعتقد أن معظم الناس مثلى..
ولكنهم فقط يتظاهرون بتفضيل الديك الرومى حتى لا يتهموا
بالتواضع. ولا يتهموا بأنهم لم يتعودوا أكله!
والديك الرومى دائماً تعقبه مشكلة فى تقطيعه وتوزيعه
للضيوف.. إذا قطعناه بالشوكة والسكين استغرقنا وقتاً طويلاً،
وقد نتهم بالقنزحة.. وإذا قطعناه أو مزقناه بأيدينا كان منظرنا
ومنظره لا يسر الناظرين.. وربما كان هذا هو السبب الذى جعل
من تقاليد الديك أن يقوم بتقسيمه وتوزيعه الرجال.. لا السيدات..
لأنه ديك.. ولأنه يحتاج إلى مصارع حتى يخضع له!!
ومنذ أن بدأت حالتنا المالية تسمح بإقامة المآدب، ودعوة
الأصدقاء إلى الغداء أو العشاء، قررت بينى وبين نفسى ألا أقدم
الديك الرومى على مائدتى أبداً.. والا أقدم الحمام أيضاً.. لأن
الحمام إذا قدمته مشوياً اتعبت الضيوف فى أكله سواء أكلوه
بالشوكة والسكين أو أكلوه بأصابعهم.. وإذا قدمته على طريقة
«الحمام المخلّى» اتعبت نفسى لأنه يحتاج فى إعدادهِ إلى دوشة
دماغ.. والحمام لا يكون لذيذاً إلا إذا أكلناه بالراحة.. أى عندما
نجتمع على المائدة وليس معنا غريب من الضيوف..
إنما أقدم على مائدتى دائماً.. الفراخ.. واصناف اللحوم

المتعددة.

ومهما كانت أهمية المائدة التي أقدمها فإنى لا أقدم أبدا على مائدتى أكثر من ثلاثة اصناف أو اربعة على الأكثر.. والجهد الذى أبذله هو - كما سبق ان قلت - إجابة إعداد هذه الاصناف، وفى جمال تقديمها..

ولم ألحظ مرة أن ضيوفى قاموا من على المائدة جوعانين.. بالعكس. انهم يقومون فى منتهى الشبع، وكل منهم يتمنى أن يأكل صوابه عقب كل طبق..

وفى كثير من المآدب الأخرى التى تزدهم بأصناف الطعام.. لاحظت ان الضيوف يقعون عادة فى حيرة، فهم لا يستطيعون ان يأكلوا من كل الأصناف وإلا أصيبوا بالتخمة.. وماتوا.. وفى الوقت نفسه لا يستطيعون ان يستقروا على صنف أو صنفين لأن عيونهم تكون زائغة على بقية الاصناف . وتنتهى هذه الحيرة بأن يبدأ الضيف فى تذوق كل صنف دون أن يتمتع به متعة كافية.. وتنتهى كذلك بأن يقع كثير من الضيوف ضحية اغراء كثرة الاصناف فيصابوا بالتعب بعد الأكل، ويغلب عليهم الكسل، ويتفرغوا لعملية الهضم ويكون الانتهاء من العشاء بمثابة الانتهاء من السهرة، فيعودوا إلى بيوتهم.. و «تبوظ» الدعوة. وشيء آخر.

أنا لا «أعزم» أبدا - أثناء جلوسنا على المائدة - على الأكل.. أو على الشراب.. ولا ألح على أحد بأن يأكل أكثر مما يطيق أو يشرب على المائدة، وبعد ذلك فالضيوف أحرار.. لأنى أعتقد أن الأكل والشرب من أخص شئون الإنسان ولا يجب ان يتدخل فيهما إنسان آخر.. كما إنى أعتقد ان عهد الخجل «والتعزز»

زوجة أحمد

على المائدة قد انتهى.. وبدل أن يضيق الوقت في «والنبي كمان الحتة دي».. و«الله لأنت واكل كمان»... «طيب عشان خاطري دوق طاجن الفريك».. بدل كل هذا، استطيع أن أدير على المائدة حديثاً مسلياً خفيفاً، يفتح النفس.



ماذا نفعل إذا كان الزوج مشغولاً.. مشغولاً دائماً؟
هل تجلس الزوجة في البيت، وحيدة حزينة، إلى أن ينتهي الزوج من عمله ويعود إليها؟

أم تخلق لنفسها دنيا خاصة تعيش فيها بلا زوج؟
إن هذه المشكلة لا تثار إلا إذا كان الزوج مشغولاً جداً.. وهو لا يكون «مشغولاً جداً».. إلا إذا كان يعمل أكثر من عشر ساعات يومياً... فالزوج الذي يعمل في الصباح، وفي فترة بعد الظهر حتى الساعة السابعة مساءً لا يعتبر مشغولاً.. ولا يحق لزوجته أن تشكو أو أن تثير مشكلة.. ولكن هناك أزواجاً مشغولون حقاً.. أطباء وصحفيين.. وأصحاب شركات.. يعملون في اليوم أكثر من عشر ساعات.. وأنا أعرف سيدة يستيقظ زوجها من النوم في الساعة الثامنة ويخرج من البيت ليكون في مكتب الساعة العاشرة، ثم يعود في الساعة الثالثة بعد الظهر.. يأكل وينام حتى الساعة الخامسة والنصف، ثم يخرج إلى مكتبه مرة ثانية ولا يعود إلا في الساعة الثانية صباحاً!

ماذا تفعل مثل هذه الزوجة ومثيلاتها؟

بعض هؤلاء الزوجات اتفقن مع أزواجهن على أن تكون لهن حرية الخروج والذهاب إلى السينما والاشتراك في الحفلات وحدهن.. بلا أزواج.. وهؤلاء الزوجات يبحثن عادة عن صديقات

زوجة احمد

متزوجات من رجال ليسوا «مشغولين جداً» ويخرجن معهن في
صحبة ازواجهن . ازواج الصديقات.
وأنا لا أوافق على هذا التصرف..

لا لأنى متزمتة، ولا لأنى رجعية . بل لأن المظهر نفسه
لا يعجبني.. ولا أحب أن أظهر به.. فالزوجة عندما تذهب إلى
السينما أو إلى حفلة، بلا زوجها، حتى لو كانت مع أخيها أو
اصدقاء موثوق بهم.. تبدو كأنها خرجت بلا تواليت.. بلا زينة
وبلا ستر . وتجد نفسها بين بقية الزوجات والازواج، لا يصح
وما يصح.. ولا طعم لها.. فهي لاتستطيع أن تتصرف تصرف
الزوجة الكاملة لأن زوجها ليس معها . ولاتستطيع أن تتصرف
تصرف سيدة بلا زوج، لأنها فعلاً متزوجة..

وقد جاء الوقت الذى أصبح فيه زوجى من هذا النوع
المشغول.. واحترت ماذا أفعل.. وقررت فى مبدأ الأمر ان أبقى
فى البيت ما دام زوجى باقياً فى مكتبه.. فهو يتعب من أجلى
ومن أجل أولادى ويجب أن اشاركه فى تعبته.. ولكنى بعد عدة
أيام لم استطع احتمال البيت، أن زوجى فى مكتبه يعمل ويقابل
الناس، أما أنا فأنى وحيدة فى البيت. وفراغ كبير من حولى.
خصوصاً الأولاد فى المدرسة.. وقررت أن املا هذا الفراغ،
فتعودت أن ادعو صديقاتى إلى حفلات بسيطة فى الصباح أو
بعد الظهر.. للسيدات فقط.. وقررت ان اساهم فى أعمال جمعية
تحسين الصحة.. الأعمال التى لاتطلب منى اللف والدوران على
الناس.. وهذا بجانب أعمال البيت طبعاً . ورفضت فى الوقت
نفسه أن أذهب إلى السينما أو إلى أى حفلة مختلطة وحدى.
ولكنى اشترطت على زوجى - مهما كان مشغولاً - أن يخصص

زوجة أحمد

يوماً فى الأسبوع لياخذنى إلى السينما ثم نتناول عشاءنا فى الخارج ووافق زوجى!!



حرمت خلاص..

حرمت أن أتدخل فى شئون الناس حتى لو كانوا من أعز الأصدقاء، أو حتى لو كانوا من أفراد عائلتى..

واسمعوا سبب هذه التوبة التى أعلنتها..

منذ شهور خطبت ابنة بنت خالتى إلى شاب يشغل وظيفة وكيل نيابة فى إحدى مدن الصعيد. وهو عريس كامل رائع.. عقبال بنتى زيزت!

وبدأت العائلة كلها تهتم بجهاز العروس.. وبدأنا - نحن سيدات العائلة - نجتمع كل يوم لنقرر ما نشترى.. وكان رأى الأناث.

نشترى الثياب كاملة - وزيادة شوية - ونشترى الحلى، ولكن لا نشترى الأثاث كاملاً فالعروسان سينتقلان بمجرد عقد القران إلى مقر عمل العريس فى الصعيد.. ولن يقيما هناك الى الأبد.. ربما عاما أو عامين، ثم ينتقلان إلى مدينة أخرى.. وهكذا إلى أن يستقرا فى القاهرة.. فحرام أن نشترى أثاثا كاملاً لبيت مؤقت.. خصوصاً وأن هذا الأثاث سيتعرض للمرمطة كلما انتقل الزوجان من بلد إلى بلد، بل أن نقله سيكون عملاً ثقيلاً عليهما.. وكان رأى أن نجهز العروس بجهاز «سفرى» يوفر الراحة ولا ينقصه الجمال.. إنما يشترط فيه أن يكون خفيفاً، بسيطاً، يتحمل المرمطة، ولا يكلف غالياً.. ونوفر النقود لنضعها باسم

زوجة أحمد

العروس فى احد البنوك، حتى تؤثث بها بيتا كاملا عندما تستقر فى القاهرة.

ورفض اقتراحى بأغلبية الأصوات!

وخبطت ابنة خالتي على صدرها وهى تقول:

- حرام عليكى. ده انا ماليش غيرها.. عايزاها تدخل بجهاز سفرى.. ليه.. فقرا.. مالهاش حد.. يعنى لو كانت بنتك زيزت كنت عاملتى لها كده؟! قلت:

- ايوه. كنت عملت لها أقل من كده!

قالت:

- والناس تقول ايه؟

قلت:

- يا ستى اكتبى شيك للعروسة بألف جنيه، وخطيه فى برواز يتعلق فى الصالون، علشان الناس تعرف انك ما بخلتيش عليها بحاجة!

قالت فى حدة!

- لا.. بنتى لازم تتجهز زى أحسن بنت فى مصر!!

وغضبت منى ولم تعد تشركنى فى الاجتماعات التى تعقدها مع سيدات العائلة.. وبدأت تطوف على محلات الأثاث لتشتري «طقم مذهب» و «أودة سفرة».. و«أودة نوم كاييتونيه» الى آخر القائمة المعروفة!

ولم تقتنع برأى إلا العروس نفسها ومعها العريس.. وظلا يلحان على الأم حتى رضخت أخيراً - رغم أنفها - ورضيت بأن

زوجة احمد

تشتري أثاثا خفيفا سهل النقل، ويتحمل المرمطة..
ولكنها لا تزال غاضبة منى..



حفلات الكوكتيل..

يبدو أننا - نحن الزوجات - أصبحنا مضطرات لان نفسح فى حياتنا مجالا كبيرا لحفلات الكوكتيل.. وقد كانت هذه الحفلات مقصورة - زمان - على دور السفارات والدوائر الأجنبية.. ولم يكن لزوجى علاقة لا بالسفارات ولا بالدوائر الاجنبية.. ولكن العدوى انتقلت الى المجتمع المصرى، خصوصا مجتمع رجال الأعمال والشركات المصرية.. وكل الفرق بين الحفلات الأجنبية والحفلات المصرية أن الأولى تسمى «كوكتيل» والثانية تسمى «شاي»!

وأنا أكره هذه الحفلات سواء كانت كوكتيل، أو شاي.. واكاد اجزم انها دعوة الى النفاق.. فأنت - فى هذه الحفلات - مضطرة أن تبترسمى طوال الوقت، وأن تقابلى وجوها لا يهيك أن تقابليها ورغم ذلك ترحبين بها، ومضطرة أن تتحدثى فى عشرات المواضيع دون أن تتمتعى بالحديث فى موضوع واحد.. ولكنك تعلمن أن زوجى محام، وقد أصبح عضوا فى مجلس إدارة إحدى الشركات، وهو مضطر بحكم عمله الى التردد على هذه الحفلات، سواء بحكم المجاملة لصاحب الدعوة أو بحكم رغبته فى التمهيد لبعض عمله..

ويجب أن أذهب معه، حتى نستكمل المظهر الاجتماعى الجديد.. ودور الزوجة هنا أكثر من مجرد مظهر، إنها عنوان لشخصية زوجها الحقيقية، وعلى حسب تصرفاتها خلال الحفلة

زوجة احمد

يحكم الناس على زوجها، وعلى شخصيته..
وقد حاولت ان اضع لنفسى تقاليد أتبعها خلال هذه
الحفلات!

قررت أولا ألا أحاول لفت الأنظار إلى، لا بالثياب التى
ارتديها، ولا بتصرفاتى.. فكنت اختار دائما قبعة على رأسى..
قبعة جميلة ولكنها ليست شاذة ولا لافتة للنظر.. وكنت اتحلى
بأقل ما يمكن من الحلى.. واحاول ان يكون «التواليت» اخف مما
أضعه فى السهرة..

هذا من حيث المظهر..

أما من حيث التصرفات، فقد قررت عندما أكون فى حفلة
شاي أو كوكتيل، ألا اقضى طوال الوقت مع «شلة» واحدة، او مع
«كوبل» واحد.. بل يجب أن اختلط بأكثر عدد من المدعوين.. والا
امنح كل «شلة» أو كل زوجين من وقتى أكثر من عشر دقائق..
فهذه هى طبيعة هذه الحفلات..

وكنت أتعمد فى أحاديثى ألا اختار موضوعا يتطلب بحثا
طويلا، وأخذا وردا.. أما إذا صادفنى مثل هذا الموضوع، فإنى
ادعو محدثى أو محدثتى إلى بيتى وارتبط معه بموعده لنكمل باقى
حديثنا فى جلسة خاصة.. أنا وزوجى طبعاً!

والحديث يجب أن يكون دائما بصوت هادئ، وأسخف ما
يمكن فى هذه الحفلات ان ترتفع ضحكة سيدة بحيث يلتفت
اليها كل المدعوين.. لو حدث لى هذا، لقتلت نفسى..

وليس المفروض فى هذه الحفلات ان نأكل حتى نشبع.. إنما
يكفى دائما قطعة واحدة من «الجاتوه» أو «البيتى فور» بجانب
فنجان الشاي أو «كوب» «الليموناده».. فإن الاقبال على الاكل

زوجة أحمد

يشوئ منظر السيدة، ويلهيهما عن وظيفتها الاجتماعية التي يجب أن تؤديها في مثل هذه الحفلات.
هذه هي التقاليد التي وضعتها لنفسى عندما أدعى إلى حفلة «كوكتيل» أو حفلة شاي، وقد نجحت معى هذه التقاليد حتى الآن..
جربوها..



ظاهرة اجتماعية خطيرة..

وهى - والحمد لله - ليست ظاهرة منتشرة، حتى نببحثها ونضع لها تقاليد ونظما، ولكنها مجرد حالات فردية.. ورغم ذلك فهى حالات تصادفنا كثيرا فى حياتنا ونضطر أن نواجهها..
كيف نعامل الزوجة الخائنة
كيف يعاملها المجتمع .

إننى شخصا لا أحب أن أتهم أى زوجة بخيانة زوجها مهما تحدث عنها الناس.. إنه اتهام خطير ويجب أن نحاسب أنفسنا قبل توجيهه.. ونتقى الله فى أعراض الناس.. ولكن هناك حالات لا نستطيع أن نتجاهلها.. حالات صريحة وأضحة، لا تخفى الا على زوج طيب، او مغرور..

فكيف نواجه هذه الحالات؟

لقد عودت نفسى ألا اردد اى اتهام يوجه إلى أى زوجة.. قد تكون - رغم كل شئ - بريئة، وإذا لم تكن بريئة، فإنى أكسب فيها ثوابا بالسكوت عن ترديد قصة خيانتها، وأحمى بيتى من أن تدخله هذه الريح العفنة..

وقد عودت صديقاتى أيضا على ألا يرددن امامى قصص

زوجة أحمد

خيانة الزوجات.. فإذا رددتها، تجاهلتها وأظهرت من البرود ما يكفي لتكف ألسنتهن عن هذا الحديث..

أما الزوجة الخائنة نفسها - إذا كانت من صديقاتي - فإنني لا أسمح أبدا بأن تطلعني على سرها، بل لا أسمح لها أبدا بالدفاع عن نفسها، إذا حاولت الدفاع.. إن الحديث كله أصده عن أذني وعن بيتي.. فإنها إذا أطلعتني على سرها أصبحت مسئولة معها عن سلوكها.. وحشرت نفسي في موضوع لا يشرفني ولا يشرف بيتي.. وإذا سمحت لها بالدفاع عن نفسها، فإن دفاعها سينتهي حتما برواية قصص زوجات أخريات.. وهو ما لا أحبه.. وقد ينتهي هذا الدفاع بأن اصدقها في حين أنها تكون كاذبة.. أو لا اصدقها في حين تكون بريئة. والحل الوحيد حتى أخلص نفسي من كل هذه الاحتمالات، هو أن أحترم نفسي، وافرض عليها احترامى.. فلا تتحدث في هذا الموضوع أمامي!

وهذا التجاهل القاسى لموضوع الخيانات الزوجية، جعل معظم الزوجات يهربن من صداقتي ويتهمننى بالقنزحة وثقل الدم، والحنبل.. وهو اتهام أستطيع أن احتمله أكثر من احتمالى الزج بنفسي فى مشاكلهن..

ولو كان المجتمع كله يواجه الخيانة الزوجية بهذا التجاهل القاسى، لكان تجاهله عقابا صارما لكل زوجة خائنة.. الى حد تضطر معه الى الإقلاع عن الخيانة، حتى تظل محتفظة بمركزها وكيانها الاجتماعى..

وهناك حالات أكثر شذوذا..

هناك حالة الزوجة التى تصر على أن تجعل من عشيقها

زوجة أحمد

صديقا لزوجها.. ثم تصحب الاثنين فى كل مكان.. وقد يكون العشيق متزوجا هو الآخر.. فيخرج الأربعة معا، الى كل المجتمعات العامة والخاصة.. والألسن الحداد تستقبلهم وتودعهم، وهم لا يأبهون.. وزوج الخائنة وزوجة الخائن، لا يشعران..

هذه الحالة، هى أخطر حالات الخيانة الزوجية.. وأنا لا أسمح لهذه «الحالة» بأن تدخل بيتى ابدا.. ولا اعترف بوجود اشخاصها حتى لو كانوا من اصدقائنا.. واخيانا كثيرة اصادف هذه «الحالة» فى السينما، او فى حفلة، فأتجاهلها، واتجاهل تحية اشخاصها واخيانا كثيرة أجد نفسى مضطرة الى دعوة الاربعة الكرام الى حفلة اقيمها.. فأصر على ألا ادعوهم معا.. ادعو الزوجة الخائنة وزوجها ولا ادعو معها الزوج الخائن وزوجته..

ان بيتى بيت شرعى.. ولا يمكن أن تدخله إلا الاوضاع الشرعية مهما كانت الظروف..

وقد تكون تصرفاتى هذه كلها تصرفات سلبية.. ولكنها تكفى.. ولو اجمع عليها المجتمع، واتبعها، لظهر نفسه بنفسه.. فالمجتمع يستطيع ان يضع تقاليد، اما العقوبات فهى من شأن القانون..



أنا اكره الزوج الخائن..

أكرهه موت..

وربما تشاركنى كل الزوجات فى هذه الكراهية، فإن الزوجة عندما تسمع بقصة زوج يخون زوجته، تتذكر توا، ودون عمد

زوجة أحمد

منها، وتتصور أنه هو الآخر يخونها، أو يمكن أن يخونها، وانها قد تكون مغفلة!

وكل الزوجات - وأنا منهن - يخفن على ازواجهن من مصاحبة الخونة.. اقصد الأزواج الخونة.. حتى لا تصيبهم العدوى.. لذلك فهن يتعمدن ألا يرحبن في بيوتهن بالأزواج الذين يعرفن عنهم الخيانة الزوجية، ويتعمدن ان يحملن عليهم بالسننهن حملات عنيفة امام ازواجهن..

وقد تعودت أن اقابل كل زوج تعرف عنه خيانة زوجته ببرود.. وألا أفسح له مكانا في بيتي.. وان اضعه عند حده وأسخفه، كلما حاول ان يتباهى بخيانتته او بخفة دمه..

ولكنى لم اتعود أبدا أن أردد أخبار هؤلاء الأزواج.. ولم اتعود أبدا أن انقل أخبار زوج «فلانة» الى زوجته.. انها جريمة.. جريمة بشعة ان تتطوع سيدة بأن تنقل اخبار الزوج الى زوجته.. وليس هناك انسانة تستحق الاحتقار، بل وتستحق الشنق، اكثر من هذه الانسانة التى تمسك بسماعة التليفون وتتصل بزوجة لتنبئها ان زوجها يخونها.. ولو كان القانون فى يدى لأصدرت تشريعا يقضى بمعاقبة كل سيدة ترتكب هذا الجرم بالأشغال الشاقة المؤبدة.. فإنها تتسبب فى خراب بيت، وتشريد أولاد، وعذاب زوجة..

والخيانة الزوجية لا يتم أثرها ولا تبدو بشاعتها الا بعد ان تعلم بها الزوجة.. فإذا لم تعلم بها الزوجة، مرت بسلام.. واصبح جزاء مرتكبها فى الآخرة لا فى الدنيا..

وقد سمعنا عن أزواج كثيرين خانوا زوجاتهم لفترة ما، ثم تابوا.. انتهت نزوتهم.. وعادوا الى حياة زوجية صالحة.. دون ان

زوجة احمد

تدرى زوجاتهم شيئا او تتزعزع ثقتهم فيهم، أو يصيب بيوتهم
أى مكروه.. أو تتأثر كرامتهم، فإن كرامة الزوجة لا تتأثر إلا إذا
علمت بالخيانة، أما إذا لم تعلم بها - حتى لو وقعت - فلن تتأثر..
إنى - كما قلت - أكره الأزواج الخائنين، ولا أفسح لهم مكانا
فى المجتمع الذى أعيش فيه.. ولكنى فى الوقت نفسه ادعو لهم
بالتوبة ليعودوا إلى بيوتهم أزواجا صالحين.. وأدعو الله أن لا
تعلم زوجاتهم بخبر خيانتهم حتى لا تجرح كرامتهم، وتخرّب
بيوتهم، ويتشرد أولادهم.. فإن الزوجة عندما تعلم بخيانة زوجها
ولو مرة واحدة، وليوم واحد، سيبقى أثر هذه الخيانة فى كل
حياتها، وكل تصرفاتهم..

وقانا الله نحن الزوجات؟!



رمضان. كل سنة وانتم طيبون!

وأنا أصوم رمضان.. والصيام لا يكلفنى كثيرا من الجهد
فقد تعودت عليه من صغرى، وكل الجهد الذى ابذله هو فى توفير
كل مظاهر رمضان.. فأنا أحرص على شراء المكسرات، وعلى
تقديم الكنافة والقطايف على مائدتى. بل إنى أحرص على أن
أشتري لابنى وابنتى فوانيس رمضان، رغم أنها لا يلعبان بهذه
الفوانيس كثيرا، وأحرص أكثر من ذلك على هذه الجلسة العائلية
التي نجلسها مجتمعين قبل الإفطار وبعده، وأحرص على إيقاظ
البيت كله ساعة السحور، رغم أنى شخصا لا أتناول فى
السحور إلا كوبا من عصير قمر الدين وكذلك زوجى.

لماذا أحرص كل هذا أحرص على توفير كل مظاهر

رمضان؟

زوجة أحمد

لأنى اعتقد أن هذه المظاهر تكون جزءا من شخصيتنا..
وتقاليدنا.. وتربط حاضرتنا بماضيها..

إن هذه المظاهر تذكرنى بأيام رمضان التى كنت اقضيها فى بيت أبى وأنا صغيرة.. ومنظر أولادى وهم يقومون نصف نائمين ساعة السحور، يبعث السعادة فى نفسى، وأرى صباى فى صباهم، واتخيل نفسى عندما كنت طفلة وأصر على أن أشارك العائلة فى طعام السحور لا شىء إلا لأبدو كائى كبيرة.. كأختى وأمى!

وانا لا أدعو أحدا الى «عزومة» إفطار فى رمضان.. بل أحرص على أن يكون الشهر كله عائليا، نعيش فيه على راحتنا، بالبيجامات والشباشب.. وتجتمع العائلة قبل الافطار وبعده لنروى القصص والحكايات للأولاد.. وولاتم الافطار فى رمضان دائما فاشلة لأن المدعوين يفدون وهم متعبون من أثر الصيام، ثم يكونون أكثر تعباً بعد الافطار من إثر الاقبال على الأكل.. ولذلك فدعوات رمضان يجب ان تبدأ بعد الافطار بساعتين على الأقل.. قلت لكم إنى أصوم.. ولكن الغريب انى «اتخن» على الصيام، ويزداد وزنى.. وأكاد أجن! رغم انى لم أعود ان أكل كثيرا ساعة الافطار، ولا فى السحور!

وقد بحثت عن اسباب زيادة وزنى، فاكتشفت ان هناك إحساسا داخليا خفيا يدفعنى الى «الرممة» فيما بين الافطار والسحور، فلا تكف يدي عن تناول المكسرات والحلوى.. وهذه الاحساس الخفى مترتب على الصيام نفسه، فيخيل الى دائما انى لم أكل كفاية، وأنى فى حاجة الى تخزين كمية من الطعام فى معدنى لتعيننى على صيام اليوم التالى..

زوجة أحمد

وقد تنبهت لنفسى، واستطعت ان اقاوم هذا الاحساس، وان اقنع نفسى بان الصيام لا يستلزم منى تخزين الطعام فى معدتى، وان أكل ما فيه الكفاية ساعة الافطار.. وبذلك استطعت ان احتفظ بوزنى خلال شهر رمضان..
مرة ثانية.. كل سنة وانتم طيبون، وأرجو ألا يزيد وزن الزوجات خلال الشهر المبارك..



صديقتى إنجى رشدى - الصحفية المعروفة - غاضبة منى..
وهى تتهمنى بأنى أعطى لزوجى، وللرجل عموماً، حقوقاً لا يستحقونها.

وفى الأسبوع الماضى زارتنى واثرت ثورتها الأنيقة الحلوة التى تعودتها.. كيف أنصح الزوجات بعدم الذهاب الى السينما اذا كان الأزواج مشغولين، او إذا كانوا لا يحبون السينما.. وكيف.. وكيف.. وأكملت قائمة الاتهام، التى استغرق سردها نصف ساعة.. بلا توقف!

وقلت لإنجى: انى لا اعطى الرجل حقاً على.. بل اعطى الرجل حقه، واحتفظ بحقى لنفسى.. فاذا كنت لا اذهب الى السينما الا مع زوجى فلأن هذا هو حقى، لا لأنه حقه.. حقى ان ابدو بجانبه لأحتفظ بمظهرى كاملاً وليسلىنى، ولأزهو به..
فاذا كان زوجى مشغولاً، فإنى افضل ان انتظره حتى اقتضيه حقى، بدل أن اذهب وحدى، فكأنى تنازلت عن حقى، فيه..

ثم إنى من ناحية المبدأ، لا أفكر بعقلية المرأة التى تتحدى الرجل.. ولا أحب أن أجعل من بيتى ميداناً لمعركة كلامية حول

زوجة أحمد

حقوق الرجال والنساء. وسر بطة الحركات النسائية وتوالى فشلها، أنها تقوم على مقارنة حقوق النساء بحقوق الرجال.. وهى مقارنة نتيجتها دائماً ضد المرأة، لأن المرأة لا يمكن أبداً أن تقبل أن تكون رجلاً.. ولا اشبه بالرجال إلا إذا كانت تشعر بنقص كامراً!!

لماذا لانفكر بعقلية مستقلة عن عقلية الرجال..
عقلية المرأة..

إذا كان الرجل يجلس على المقهى، فلماذا لا نطالب بحق الجلوس فى المقاهى أسوة به.. ومن أدرانا أننا سنجد متعة فى ممارسة هذا الحق؟ ولماذا لانصر على عدم الجلوس فى المقاهى وعدم التشبه بالرجال، ونجتمع فى بيوتنا، وندع الرجال يلحقون بنا؟

إنى من اشد المتحمسات لاشتراك المرأة فى الحياة العامة، واشتغالها بكل الأعمال، وممارستها حق الانتخاب والترشيح وتولى الوزارات.. ولكنى لا اتحمس تحدياً للرجل، ولا أطالب بهذه الحقوق تشبهاً بالرجال.. ولكنى اطالب بها على اعتبار انها حقوق نسائية.. حتى لو لم تكن من حق الرجال

وأنا فى حياتى الخاصة والعامة لم افكر فى مقارنة حقوقى بحقوق زوجى أو بحقوق الرجال، إنما فكرت فى خلق البيت السعيد.. وفى سبيل هذه السعادة كونت كل أرائى وحددت كل حقوقى وواجباتى..

هذا ما قتله لصديقتى إنجى.. ولم تقتنع به.. لأنها لو اقتنعت به صمتت، وهى لاتطبق الصمت..
وبعد..

زوجة أحمد

إن هناك فارقاً بين حياة إنجي وحياتي.. فهي زوجة تعمل في الحياة العامة، وأنا زوجة ليس لي عمل إلا بيتي وأولادي وزوجي.. وهي زوجة سعيدة..

وأنا زوجة سعيدة..

ورغم ذلك فهناك اختلاف كبير بين آرائنا، واني ادعوها لأن تكت عن سعادة الزوجة العاملة. بدل ان تكتفى بثورتها على.



الصيف..

والصيف فصل التحرر. التحرر من الثياب، والتحرر من التقاليد، وأحياناً.. التحرر من الأخلاق!

ونحن لم نتفق بعد على تقاليد الصيف . اقصد تقاليد «البلاج».. ولكنى سأؤجل الحديث عن «البلاج» وسأحدثكم عن تقاليد «البالكونات» اى «الشرفات».. وتقاليد السطوح!!

ان كثيرات منا لا يزلن يهملن الشرفة.. لا يعتبرنها جزءا هاما من البيت.. ويتخذنها مخزنا للاشياء القديمة.. وكثيرات منا ايضا يهملن سطح البيت، ويعتقدن ان السطح لم يخلق ولم يهتم به المهندس الذى وضع تصميم البيت إلا ليكون مكانا صالحا لنشر الغسيل..

إن مصر بلد، صيفها أطول من شتائها .. والقاهرة بالذات، صيفها لهاليب . والشرفة فى كل بيت من بيوت القاهرة تعتبر باب الفرج ، إنها احيانا تكون المكان الوحيد فى البيت كله الذى يطاق الجلوس فيه

ولذلك فقد اهتمت بشرفات بيتى جدا، وجعلت كلا منها

زوجة احمد

اقرب الى الصالون فى اناقتها، وأثنتها بمقاعد مريحة عريضة، وزينتها بأصص الزهر والصبابر.. وتعودت فى الصيف ان امضى الليل كله فى الشرفات مع زوجى والاولاد، ومع الضيوف اذا زارنا احد منهم .

ولكن السهر فى الشرفات له تقاليد يجب ان تحسب حسابها .. فالشرفة ليست جزءا من البيت تماما، انما هى تعتبر ايضا جزء من الشارع .. فالظهور فى الشرفة هو نصف خروج إلى الشارع، أى لا يصح أن نقف فى الشرفة بملابس النوم، او بالبيجامات، بل يجب ان نرتدى ثيابا اقرب الى ثياب الخروج . ليس معنى هذا ان نضع تواليت كاملا، او نرتدى ثوبا فخما، ولكن يكفى ان نرتدى «جيب» و «بلوز» مثلا..

ولأن الشرفة جزء من الشارع فيجب ان نراعى تقاليد الشارع .. أى لانضحك بصوت عال . ولا نقول كلاما خاصا يسمعه الجيران.. ولا نقزقز اللب، ونأكل الخس، ونلقى القشر على رؤوس الناس المارين فى الطريق.. ولا نتطلع ايضا الى الشرفات الاخرى.. نفس تقاليد الشارع يجب ان تطبق فى الشرفة!

والسطح..

لقد صعدت مرة الى سطح العمارة التى أقيم فيها - وكانت ليلة صيف - فأحسست انى انتقلت الى الجنة .. وفكرت فى ان استغل السطح لقضاء أمسيات جميلة عائلية . خصوصا ان السطح يتيح مكانا واسعا يلهو فيه الاولاد..

ولكن السطح ليس لى وحدى ، إنه مشترك بين سكان العمارة كلهم.

زوجة أحمد

فبدأت اتصل بهم وأعرض عليهم الاشتراك فى تأثيث السطح
بأثاث بسيط خفيف.. بضعة مقاعد من مقاعد البلاج، ويضع
موائد .. ويكون لنا جميعا حق قضاء الامسيات فيه، تماما
كشاطيء البحر..

وسخر بعض السكان من الفكرة.. ورحب البعض الآخر بها،
فنفذتها معهم، ومالبت الساخرون أن انضموا إلينا..
وأصبح من عادتي فى الصيف أن أقول لأولادى بين حين
 وآخر: «ياللا ياولاد نطلع الجنة»!!
وعندما نصعد الى الجنة نصعد إليها مرتدين ثياب الخروج..
ونراعى نفس التقاليد التى نراعيها فى الشارع وفى الشرفة..



إنى أستعد للعيد.. كل سنة وانتم طيبون!!
وانا أحرص فى كل عيد على إقامة شعائره.. ولم يفتنى أبدا
أن اصنع كعك العيد الصغير.. حتى أصبحت لا أحس بالعيد،
إلا اذا استيقظت فى الصباح ووجدت على المائدة اقراص الكعك
وقد انتثر عليها السكر «البودرة» فبدت كأنها زهور بيضاء
متفتحة..

والكعك تقليد جميل من تقاليدنا التى ترسم شخصية
مجتمعنا..
ولكن..

مامعنى هذا التقليد، وماهو المقصود به؟
هل المقصود به أن نتعب بطوننا حتى نمرض من كثرة اكل
الكعك؟

زوجة أحمد

وهل المقصود به ان نتعب ميزانية البيت، حتى نندم بعد ان يمر العيد، ونتمنى لو انه لم يمر بنا، ثم نبدأ فى الاستدانة؟! وهل المقصود به ان نتباهى امام جارائنا، ونتنافس فى زيادة كمية الكعك وإجادة صنعه؟ لا قطعاً..

ليس المقصود هو إتعاب بطوننا، ولا إتعاب ميرانيقتنا، ولا التباهى امام الجيران والشماتة فيهم، او الغيرة منهم.. إنما المقصود هو مجرد ذكرى جميلة لمرور شهر رمضان، ونهاية أيام الصيام، والاحتفال بأيام الافطار.. وحتى نفطر فى اول يوم على «حاجة حلوة»..

ويجب أن يتم هذا التقليد فى جو عائلى مرح، بسيط، يجمع بين افراد العائلة كلهم..

وقد تعودت قبل العيد بيومين أن أعد عجينة الكعك ثم نجتمع كلنا فى المطبخ ويبدأ كل منا فى صنع كعكة لنفسه.. انا، والاولاد، وحتى زوجى يشترك معنا ويضع كعكته بنفسه، وكذلك الخدم .. ويضع كل منا علامة مميزة على كعكته، ثم نرسل بالكعك الى الفرن.. ولا تتصوروا فرحة كل منا عندما يرى كعكته «ويرش» عليها السكر ويحرص عليها، حتى يأكلها فى صبيحة يوم العيد..

وانا لا أشتري ابدا الكعك من السوق، لان ذلك يفوت علينا بهجة الاجتماع العائلى لاعداد الكعك بأنفسنا .

والكعك الذى نصنعه لايزيد عن اقتين.. اى عشرين كعكة على الاكثر.. نأكل منه مانأكل، ويبقى جزء منه لنقدمه للضيوف، وفى ثانى يوم العيد لا يبقى فى البيت ولا كعكة.. ونعتبر أن دور

زوجة أحمد

الاحتفال بالكعك قد انتهى ونبدأ في برنامج للتنزه في باقى ايام العيد.. وبذلك استطعت ان احمى بطون عائلتى من مضار الاكثار من اكل الكعك، وان اصون ميزانيتى من نفقات الاسراف فى تكاليف الكعك..

مرة ثانية.. كل سنة وانتم طيبون!!..



أحد القراء يعجب مما أكتبه، ويثير دهشته أنى أسمح لنفسى وللبنات بالرقص، وفى الوقت نفسه اصوم رمضان واصلى، وادعو الناس للصيام والصلاة..

وأريد من القارئ الكريم ان يفهمنى..

فأنا لا ارى تعارضاً بين الرقص والصلاة والصيام.. ولا اعتقد ان كل فتاة ترقص هى فتاة تستحق التجريح، وتعتبر قليلة الأدب..

ان الرقص هو أحد مظاهر المدنية الحديثة.. بشرط ان يؤدى فى الحدود التى سبق ان شرحتها بالتفصيل..

واذا كان القارئ الكريم يعجب ويفغر فاه دهشة من ان يكون الرقص معترفاً به من مظاهر المدنية، فليتذكر ان والده وجده كانا يعجبان ويدهشان اذا لحا سيدة تسير فى الطريق سافرة الوجه..

واذا كان سيادته - القارئ الكريم - يدهش عندما يرى امرأة تصلى وترقص، فإن ابنه لن يدهش بعد بضع سنوات .. بل سيقص .. وأرجو ان يصلى!

ومن الخطأ ان نتجاهل هذه المدنية الحديثة، لأنها عنصر من

زوجة أحمد

عناصر التطور. وهى أقوى منا .. وأقوى من المتزمتين.. وإذا كان السفور قد انتصر على انصار الحجاب.. فان «المايوه» قد انتصر أيضا على الرجعيين.. وسينتصر الرقص قريبا..
وبدل أن نتجاهل هذه المظاهر وتتحداها، خير لنا أن نشترك فيها فى حدود مبادئ الخلق القويم، وفى حدود الحرص على الأدب والعفة.

وأنا قد وضعت لحياتى أهدافا، ومبادئ..
نفس الأهداف والمبادئ التى يؤمن بها أكثر الناس تزمنا..
ولا أسمح لنفسى أبدا أن أنحرف عن هذه الأهداف والمبادئ..
ولكنى فى الوقت نفسه لا أحاول أن أتجاهل مظاهر المدنية الحديثة، ولا أحاول أن أحرم ابنتى منها، حتى لا ترقص من وراء ظهري. وسرا.. فيصبح للرقص معنى الخطيئة..
لذلك فأنا حريصة على الصلاة والصوم..
ولذلك أيضا وضعت للرقص تقاليد لا تتنافى مع الفضيلة..
ومادامت لا تتنافى مع الفضيلة، فهى لا تتنافى مع الصلاة والصوم.

والقارىء الكريم يتحدث عن رقصة «الروك اندرول» وأنا لم أتحدث من قبل عن هذه الرقصة.. وقد يعجب سيادته عندما يعلم انى لا اسمح لابنتى بأن ترقصها، لا لأنها عيب، بل لأنها رياضة عنيفة.. والرياضة العنيفة مكانها النوادى ويجب أن يكون لها زى خاص.. وليس مكانها الصالونات، ولا يصح أن نؤديها بثيابنا العادية..

ترى .. هل اقتنع القارىء الكريم؟



زوجة احمد

هل نرتدى « المايوه » فى النوادى الرياضية؟!
إن هناك فرقا بين حمام السباحة فى النادى، وشاطئ البحر
فى الاسكندرية..

فرق كبير..

ورغم ذلك فإنى لا أستطيع أن أصور الفرق، ولكنى أحس به
فى أعماقى .. فلا أستطيع مثلا ان اجلس على حافة حمام
السباحة، نفس الجلسة التى اجلسها على شاطئ البحر..
إنه فارق بلا منطق.. نفس الفارق الذى يدفعنا الى ارتداء
المايوه على الشاطئ، وعدم ارتدائه فى شارع قصر النيل..
وكثيرات من سيدات وأnsات النادى الأهلى، ونادى الجزيرة
يرفضن ارتداء المايوه، ويرفضن النزول إلى حمام السباحة، رغم
انهن - هن أنفسهن - يرتدين المايوه على الشاطئ وينزلن
للاستحمام فى البحر!!

لماذا؟

لا أحد يدري..

والتفسير الوحيد هو ان مجتمع النادى اكثر محافظة من
مجتمع الشاطئ!

وأنا لا أحرم ابنتى من ارتداء المايوه فى النادى او السباحة ..
ولكنى اضع لذلك عدة تقاليد تختلف عن تقاليد الشاطئ:
مثلا..

ممنوع ارتداء « المايوه » إلا ساعة السباحة فقط.. فاذهب الى
الغرفة المخصصة لتبديل الثياب، وارتنى المايوه، واتجه توا الى
حوض السباحة.. وأغطس فى الماء، وأصبح عشر دقائق، أو

زوجة أحمد

نصف ساعة، ثم أخرج من حوض السباحة وأعود توا الى غرفة تبديل الملابس، دون ان أتسكع حول الموائد او «اتلطح» عند البوفيه.. وبعد أن أبدل ثيابى اعود فى ثوبى الكامل لأجلس على حافة الحوض . وممنوع أيضا «حمامات الشمس» فى النادى او لعب «الفولى بول» بالمايوه كما تفعل بنات نادى الجزيرة.. وشمس القاهرة لا تصلح لما نسميه «حمامات الشمس» وهى خطيرة على البشرة.. أما «الفولى بول» فله زى خاص غير المايوه..

هذه هى اسس التقاليد التى وضعتها لتصرفاتى فى حمام السباحة بالنادى الاهلى..

ورغم ذلك فلم أسلم من السنة بعض الاعضاء والعضوات، المتزمتين والمتزمتات، والذين يصرون على تحريم ارتداء المايوه فى النادى..

ولكنى قررت ألا احرم نفسى من متع الحياة مادامت لا تتعارض مع الفضيلة.. والرياضة والسباحة من متع الحياة التى لا يجب ان نحرم انفسنا منها .. والمايوه ليس خطيئة مادام لا يتعارض مع التصرفات الفاضلة، والنفوس الفاضلة...

إنى ادعوكم جميعا الى حمامات السباحة..

وادعوكم جميعا الى ارتداء المايوه.. مادام القوام ليس منفرا يثير السخرية.. ومادام القصد من ارتدائه - أى المايوه - هو السباحة فقط.



أشد ما يغيظنى هو أن ارى بناتنا ينسقن وراء «المودات» و«التقاليع» الجديدة، دون ان يحكمن ذوقهن الخاص، ودون ان

زوجة أحمد

يحتفظن بشخصياتهن المستقلة... بل يسلمن تفكيرهن، وذوقهن، وشخصياتهن لكل فكرة يقرآن عنها فى مجلة فرنسية..

وأخر «المودات» التى تكيدنى، هو اللون الجديد لأحمر الشفاه المسمى «ناتيرل» أى : «الطبيعى».

وهو لون لايمكن ان يكون طبيعيا . انه لون يكاد يقرب الى اللون الأبيض .. ولم نسمع ابدا عن شفاه طبيعية لونها ابيض . الا اذا كانت صاحبتهما مريضة .. أو ميتة!!

ورغم ذلك فقد انقادت فتياتنا الى هذه المودة.. بلا وعى وطلين شفاههن باللون الابيض.. وبدت السمراوات منهن كأنهن العفاريت، وبدت الشقراوات كالحات لا تستطيع أن تميز شفتى كل منهن عن ذقنها!

ومنذ سنوات .. أيام كنت فتاة .. ظهرت مودة أخرى وهى طلاء اظافر اليد بألوان مختلفة.. واللون الأخضر والذهبي.. والفضي.. و«الموف».. وانقادت فتيات الأمس إلى هذه المودة، كما تنقاد فتيات اليوم إلى اللون «الناتيرل» يصبغن به شفاههن وأذكر أنى - زمان - انسفت مع المودة وطلت اظافرى يوما باللون الذهبى، ونظرت اليها فأحسست كائى غريبة عن نفسى.. كائى تمثال.. كأن اصابعى ليست ملكى.. ومسحت اللون من فوق اظافرى بسرعة «بالاسيتون» وقررت من يومها ألا أنساق إلى أى مودة الا بعد تحكيم ذوقى الخاص..

وهناك مودة أخرى منتشرة هذه الايام .. وهى صبغ الشعر باللون الاحمر.. وقد بدأت هذه «المودة» تختفى، ولكنها لاتزال عالقة برؤوس بعض سيدات نادى الجزيرة.. والكثيرات.. الكثيرات جدا.. من سيدات وأنسات الوسط الفنى!



ومنذ اسبوعين دعيت مع زوجى الى احد الملاهى فشاهدت
راقصة جميلة ذات شعر اسود.. جميلة بشعرها الاسود.. وبعد
يومين شاهدت نفس الراقصة وشعرها احمر.. وكانت قبيحة..
منفردة .. لماذا فعلت بنفسها هذا.. المسكينة؟!
إنه الجهل..

والانقياد الاعمى وراء المودة!
ولو عرفت أن الشعر الاحمر لا يليق الا على البشرة البيضاء
.. ولو علمت أن حتى صاحبات البشرة البيضاء يفضلن الشعر
الاصفر، او الاسود.. ولو عرفت انها ستكون قبيحة الى هذا
الحد إذا صبغت شعرها باللون الأحمر.. لما صبغته!!
إنه الجهل .. كما قلت.



ساذهب واعطى صوتى فى الانتخابات..
ولكنى حائرة..

انى لا أعرف أحدا من المرشحين معرفة شخصية، وليس
بينهم خلاف يذكر فى المبادئ السياسية العامة، وعيوبهم تقريبا
واحدة، والاشاعات التى تدور حول كل منهم، سواء كانت باطلة
او صادقة، لا تختلف عن الاشاعات التى تدور حول الآخر..
وقد زارنا فى بيتنا اثنان من مرشحى الدائرة. جاءوا الينا
بصحبة بعض الجيران. وناقشت كلا منهما، أنا وزوجى مناقشة
طويلة.. فلم نستطع ان نستقر على رأى .. ان كليهما مؤمن
بالثورة، وكلاهما مجاهد، وكلاهما ينسب لنفسه أفضالا لا تختلف
عن الآخر، وكلاهما يتحدث باسم الشعب.. بل ان أسلوب كل

زوجة أحمد

منهما فى الكلام وفى إشارات يديه لاتفك عن الآخر..
كيف اختار بين هذه التوائم التى تقدمت للترشيح؟
لقد أحسست كأنى أمام جماعة من العرسان كل منهم
يسألنى يد ابنتى ، ويريد أن يخطبها لنفسه.. طبقا للتقاليد
القديمة التى تحتم ألا يلتقى العريس والعروس إلا بعد كتب
الكتاب.. أى بعد الانتخابات!!
واخذت أولا أفكر فى ابنتى.. انها لاتحب عريسا بالذات من
هؤلاء العرسان، ولا تفضل احدهم على الآخر.. ولكنها - رغم
ذلك - يجب أن تتزوج.. ويجب أن اختار لها عريسا!!
واخذت اطبق المقاييس التى تطبق عادة فى اختيار العرسان:
الأخلاق.. كلهم اخلاقهم متساوية.. على حد علمى!
العلم.. كلهم من خريجي الجامعات..
التاريخ الوطنى.. كلهم يدعون أن لهم تاريخا مجيدا..
كلام الناس.. كل منهم له اعداء يهاجمونه، وكل منهم له
انصار يمدحونه!
المبادئ.. واحدة..
الاسلوب .. إن النفاق يغلب على اسلوبهم جميعا، وربما لم
يكن النفاق صفة فيهم، ولكن طبيعة الانتخابات واستجداء
الاصوات تحتاج الى كثير من النفاق..
وطبعا لم اطبق مقياس الثروة والمال..
وقد خرجت من تطبيق هذه المقاييس وأنا أشد حيرة مما كنت
.. ورغم ذلك فانى سأذهب وأبلى بصوتى فى الانتخابات، حتى
لو اخترت بين المرشحين على طريقة «حادى بادى، سيدى محمد

زوجة أحمد

البغدادى»

سأنتخب، فالأمر ليس متعلقا بالمرشحين بل متعلقا باستعمال
حق لى حق اعتز به، ولا اقبل ان اتنازل عنه ويكفينى انى ابيت
واجبى الوطنى، حتى ارضى عن نفسى..
لا تتكاسلن يوم الانتخاب..
فالتكاسل معناه التنازل عن حق .. والتنازل عن شخصية
المرأة المصرية..



منذ اسبوعين وزوجى أحمد فى حالة عصبية مريضة..
إنه لا ينام..

وهو يثور لأتفه الأسباب..

ولكنى أحتمله.. أحتمله صابرة، وأتعمد أن أستقبل ثورته
بابتسامة هادئة، وأحاول ألا أناقشه أبدا فى أى رأى يبيده حتى
لو كنت مقتنعة بينى وبين نفسى بخطأ هذا الرأى..
وليست هذه المرة الأولى التى ينتاب فيها زوجى هذه النوبة
العصبية.. إنه يصاب بها فى كل عام، وفى مثل هذه الأيام
بالذات.

أنا أسمى هذه الأيام «موسم النكد».. ويخيل إلى أن كل
الأزواج ينقلبون الى ادوات نكد فى هذا الموسم!
لماذا؟

لأن الأزواج يكونون متعبين.. لقد قضوا ثمانية شهور، أو
تسعة، وهم يعملون باستمرار.. كل يوم، وكل ساعة.. ويحملون
مسئولية أعمالهم فى رؤوسهم وفوق صدورهم.. وعندما نصبح

زوجة أحمد

على أبواب شهر يونيو (حزيران) يكونون قد تعبوا، وتكون الآلة التي تدور في أجسادهم، قد أصبحت في حاجة الى «تزييت» وإلى الراحة من العمل.. فتصاب بهذه النوبة العصبية.. أشبه بالرعشة التي تصيب موتور السيارة بعد طول استعمالها.

ويخيل إلى أن كل المصائب الزوجية تقع في شهر يونيو (حزيران).. ففي هذا الشهر بالذات تصبح تصرفات الزوج لاتطاق.. وكثير من الزوجات لايعلمن سر هذه التصرفات فيقابلن الثورة بالثورة، والعناد بالعناد، والخطأ بالخطأ.. وتقع المصيبة!

ليس هذا فقط.. بل إن تصرفات الزوج في عمله أيضا تصبح تصرفات غلط.. ليس فيها تفكير هادئ، ولا روية، إنما مجرد عواطف ثائرة.. ويخيل إلى أن معظم مصائب العمل أيضا تقع في شهر يونيو.
والحل؟!

الحل هو أن تعامل الزوجة زوجها على أنه إنسان متعب مريض في حاجة إلى عملية «تشحيم» فتدخله الى كراج عواطفها، وتبدأ في غسل أعصابه، وتزييتها.. ثم تصمم على أن يمنح نفسه اجازة من العمل.. وإذا لم يستطع الزوج أن ينال اجازته فعلى الأقل تبدأ الزوجة تثير فيه أحلام الأيام الجميلة التي سيقضونها في الاجازة.. وتحدثه عن مشروعاتها التي ستقوم بها في الاسكندرية، أو في رأس البر أو في الريف.. حتى.. يستعين الزوج بهذه الأحلام على أعصابه، ويستطيع أن يقضى أيامه بسلام الى أن يحين موعد الاجازة.
هذا ما أفعله الآن مع زوجي..

زوجة أحمد

ولكنه لا يزال ثائراً عصبياً...
ولازلت أحتمل ثورته، هادئة صابرة.. فهو انسان أتعب نفسه
طول العام فى سبيلى وفى سبيل أولادى.



أظن أن التليفون مشكلة..
مشكلة كل بيت.. خصوصاً البيوت التى فيها بنات!!
ومشاكل التليفون معروفة.. مشكلة التليفون الذى يدق ثم
لا يرد أحد . ومشكلة التليفون الذى الحبل الطويل الذى تسحبه
البنت إلى غرفتها ثم تغلق الباب وتتكلم مدى ساعات.. ثم مشكلة
المعاكسات التليفونية، الثقيل منها والخفيف.
وقد حاولت أن أتغلب على هذه المشاكل.. تغلبت عليها بعد أن
اعترفت أولاً بأننى لا أنا ولا زوجى نستطيع أن نستغنى عن
التليفون.. ومهما حدث، فلن نفكر فى الاستغناء عنه.. انه ضرورة
لا بد منها..

تغلبت على مشكلة التليفون الذى يدق ولا يرد، بأن عودت
أعصابى عليه.. أصبحت كلما رفعت السماعة ولم أسمع صوتاً،
أعدتها فى هدوء دون أن أسمح لنفسى بأن أشك فى أن هناك
امراة تريد زوجى.. كنت أقول لنفسى ربما كان رجلاً يريد
الخدمة، أو امرأة تريد السفرجى.. أو ولداً شقياً من أصدقاء
ابنى، أو بنتاً من صديقات ابنتى خجلت عندما سمعت صوتى..
كنت أفترض كل الفروض حتى أبعد الشبهات عن زوجى.. ولم
أكن أناقشه فى هذه التليفونات، بل لم أكن أبلغه عنها.. ولكنى
كنت أحس أنه يعانى نفس حيرتى، وأنه يقاوم نفسه كما
أقاومها.. وكنت أنتظر ما سيفعله، فإذا به يتصرف مثلى..

زوجة أحمد

لاتعليق ولا حكاية..

ومن الغريب أن هذا البرود الذى كنا نقابل به التليفونات التى لاترد، انتهى بأن انقطعت عنا هذه التليفونات فعلا.. ربما كان هناك بعض الناس الأشرار يريدون أن يعكروا صفو هدوئنا، فلما يتسوا كفوا..

أما التليفون ذو الحبل.. فقد رفضت أن أدخله فى بيتى.. لا لشيء إلا لأنها طريقة تشجع على الكسل، ثم أن التليفون فى نظرى ليس أداة تسلية، بل هو أداة تبليغ رسائل.. وكلما قصرت الرسائل، كلما كان ذلك أكثر احتراما لمهمة التليفون.. ثم اننا تعودنا فى عائلتنا ألا يكون بيننا أسرار.. فليس هناك ضرورة فى أن يأخذ أحد منا التليفون إلى حجرته، ويقفل على نفسه الباب.. حتى زوجى ليس له أسرار فى عمله، كل ما هنالك أنه يطلب أحيانا من السفرجى أن يخرج من غرفة التليفون اذا كان يريد أن يتكلم فى شيء لا يريد أن يسمعه..

ونحن جميعا نتكلم فى التليفون أمام بعضنا البعض. ولكن هناك حيلة كثيرة للتليفون.. قد تحدث ابنتى أحد الشبان على أنه إحدى صديقاتها.. أو... أو... حيل كثيرة سمعت عنها.. فما العمل؟

الحل الوحيد أيضا هو أن تكسب الأم ثقة ابنتها وتعودها على أن تبادلها أسرارها.. وأنا لا أغضب عندما تحدث ابنتى شابا من زملائها فى النادي، أو من أصدقاء العائلة حديثا بريئا.. وثقتى بأنها تقول لى كل شيء تجعلنى متأكدة من أن كل أحاديثها بريئة..

وأكرر أن هذا هو الحل الوحيد.. ليس هناك حل آخر.. ومهما

زوجة احمد

حاولت الأم أو الأب الالتجاء الى العنف فى منع ابنتهما من التحدث فى التليفون.. فإن البنت ستجد دائما حيلة تلجأ اليها.. حيل أكبر من أن نتصورها نحن أفراد الجيل القديم.. أما المعاكسات.. فإن ردى الوحيد عليها هو أن أعيد سماع التليفون الى مكانها فى هدوء وبلا تعليق... لا أشتم، ولا أثور.. إنما فى منتهى البرود.. وكلما تكررت المعاكسات ازدادت برودا حتى يئس الطرف المعاكس.. وربنا يستر من التليفون..



هل تقودين سيارة؟

وهل يسمح لك زوجك بقيادة سيارة؟

ان مجتمعنا لا يزال مترددا فى منح المرأة حق قيادة السيارات، ورغم آلاف السيدات اللاتى يقدن سياراتهن فعلا، فالمجتمع لا يزال مترددا، ولا يزال ينظر إلى السيدة التى تقود سيارة كأنه يرى منظرا عجيبا.. منافيا للآداب!!

وأنا أقود سيارتنا.. ولكنى لم أنل هذا الحق بسهولة، فقد تعلمت قيادة السيارات قبل أن أتزوج، وبعد أن تزوجت لم يكن زوجى يملك سيارة.. وقضينا أكثر من اربع سنوات إلى ان اشترينا سيارة صغيرة «اوستن».. وكان أول أمر أصدره زوجى لى، هو ألا أفكر يوما فى قيادة السيارة!!

لماذا؟

قال انه يخاف على..

ثم قال انه لا يعجبه منظر السيدة التى تقود سيارة، وان

زوجة أحمد

قيادة السيارات قد تفقد المرأة انوثتها!!

وأطعت الأمر.. على العين والرأس!

ولكنى كنت واثقة أن زوجى سيضطر أن يسمح لى بقيادة السيارة، يوما ما.. فلم يكن عندنا سائق، وزوجى وحده لن يستطيع أن يؤدي جميع الخدمات التى نحتاج فيها للسيارة، ولن يهون عليه أن يركب هو سيارة ويذهب إلى عمله، ويتركنى انا اركب الترام والأوتوبيس..

وفعلا جاء هذا اليوم.. واضطر زوجى أن يسمح لى بقيادة السيارة.. فى الحالات الضرورية.. ثم شيئا فشيئا أصبحت القيادة حقا لى ولكنه لم يكن يسمح لى أن أقود السيارة وهو جالس بجانبى!

لماذا؟

قال إنه لا يسمح لزوجته أن تقوده؟

وقال إنه عندما يجلس بجانبى وانا أقود السيارة يحس أنه تنازل عن رجولته!!

ولكن شيئا فشيئا، أصبحت انا أقود السيارة وهو جالس بجانبى.. فقد كان يخرج من عمله متعبا، وكان قد مل قيادة السيارات فتنازل عن عناده..

وأصبح احد واجباتى المنزلية هى أن أقود السيارة لزوجى واولادى!.

وانا لا أومن بأن قيادة المرأة للسيارة فيها خروج على التقاليد أو جرح للمجتمع.. انه عمل عادى، كالطبخ والكنس، وكالسير فى الشارع.. بل ربما كانت مشية المرأة فى الشارع اكثر اثارة من

قيادة سيارة.

ولكن..

العيب الوحيد، أن بعض السيدات يمارسن قيادة السيارات كنوع من التسلية وتضييع الوقت، فلا يكاد زوجها يذهب الى عمله حتى تركب سيارتها وتأخذ في الطواف بها في شوارع البلد بلا هدف، إلا مجرد التسلية والاستعراض.. هذا عيب..

لا لأنه خروج على التقاليد..

بل لأنه يدل على أن هذه السيدة فارغة فاضية عاطلة.. ليس لها هدف في حياتها اليومية..



سافرت في الأسبوع الماضي إلى الاسكندرية، لأعد بيتنا.. وقد سبق أن قلت لكم إنى استأجرت شقة في الاسكندرية طول العام، بعد أن اكتشفت أن ايجارها السنوى أرخص من ايجاد شقة مفروشة في شهور الصيف.. أن ايجار السنوى ٨٤ جنيها، في حين أن ايجار شقة لمدة ثلاثة شهور في الصيف لا يمكن أن يقل عن مائة جنية..

وهى شقة صغيرة.. حجرتان وصالة.. وقد فرشتها بكل ما استطعت أن استغنى عنه من قطع الأثاث القديم.. ولم أحاول أن أجعلها شقة فخمة، بل إنها أقرب إلى معسكرات الكشافة، ولكنها خفيفة الدم، وأهم ما فيها أنها تطل على البحر.. ولا أعتقد أن الناس في المصيف في حاجة إلى شقة فخمة، فهم في حاجة أكثر إلى قضاء معظم الوقت على الشاطئ.. وأنا

زوجة أحمد

وزوجى لا نكاد ننتهى من افطارنا حتى نسرع إلى البلاج، ونعود
لنتناول طعام الغداء، ثم نسرع مرة ثانية إلى الشاطىء.. ثم نعود
إلى الشقة وقد أنهكنا التعب اللذيذ.. تعب المرح، والرياضة،
والهواء المنعش.. فنتناول طعام العشاء، وننام كالفسيح..

وفى الصيف لا أدعو أحدا إلى بيتى، إلا اذا حدثت زيارات
عابرة.. إنما التقى بكل أصدقائنا على الشاطىء تحت
الشمسية.. خصوصا انى لا أصحب معى إلى الاسكندرية إلا
«سفرجى» صغيرا، وأتولى معه إعداد الطعام وتنظيف البيت
بمساعدة زوجى وأولادى، بعد أن أوزع عليهم العمل.. وهم
يقبلون عليه فى مرح.. بل انى استطعت أن أقنعهم أن أعمال
البيت هى نوع من أنواع الرياضة..

وفى الصيف أيضا أتعهد أن أهرب من الأصدقاء الذين
اضع بينى وبينهم تكلفا، فاستقبال هؤلاء الأصدقاء فيه جهد
كبير.. جهد فى تكلف الحديث، وفى طريقة الاستقبال.. جهد
يجب أن يستريح منه الانسان - فترة ما - كما يستريح من أى
عمل آخر.. وأتعهد أن أقضى معظم وقتى مع عائلتى «على
راحتى» حتى استريح من التكلف.

وقد كبرت ابنتى هذا العام..

وبدأت أفكر فى تصرفات البنات على الشاطىء.. وكل البنات
يعتقدن ان الشاطىء هو سوق للزواج، هو أنسب مكان لتعرض
فيه البنت نفسها على العرسان.. ويشارك البنات فى هذا
الاعتقاد كثير من الأمهات.. وهو اعتقاد صحيح، ولكنه يجر إلى
كثير من الأخطاء.. فالبنت فى لهفتها للعثور على العريس،
تخطى كثيرا وتنساق فى مغامرات عاطفية، لا تنتهى عادة

زوجة أحمد

بالزواج.. والأم في لهفتها على تزويج ابنتها «تصهين» كثيرا عن تصرفاتها. قد تعلم انها تلتقى بشاب خلف الكبائن، وقد تعلم انها تذهب إلى سينما فلوريدا - في سيدى بشر - لتلتقى هناك بشاب.. وقد تعلم الكثير، ولكنها تسكت على أمل أن ينتهى الصيف بإعلان خطبة ابنتها..

وهذا خطأ كبير. ويجب أن تتم كل عمليات التعارف بين البنات والشبان تحت رقابة الأم، وفي جو اجتماعى عائلى نظيف، حتى يقتنع الشاب بالزواج. وأنا شخصيا سأرحب بأى فتى يحدث ابنتى على الشاطئ، مادام يحادثها أمامى ومادام يقبل أن ينضم إلى عائلتنا تحت الشمسية.. وعلى كل حال.. ربنا يستر!



خطاب إلى ابنتى!!

يا حبيبى الأخير..

إنى أكتب إليك، لأعترف.. لأكشف لك عن خطة مدبرة أحاطت بك، وأنت لا تعلمين.. وأنا الذى دبرت هذه الخطة متعمدا، وساعدتنى والدتك فى تنفيذها.. واسمعى اعترافى..

لقد تعودت والدتك، كلما عدت إلى البيت وبدأت أخلع ملابسى، أن تأخذ فى تلاوة نشرة الأخبار.. أخبارك وأخبار أخويك محمد وأحمد.. وهى تتهمنى دائما بأنى أقابل هذه النشرة بلا اهتمام، وبلا مبالاة.. وأستمع إليها وأنا سرحان.. وهى لهذا تشكو من انى ألقى عليها عبئكم كله، وأحملها وحدها المسئولية كلها.. وتتهمنى بأنى أبالغ فى تدليلكم.. أبالغ فى فرحى

زوجة أحمد

بكم، وفي العفو عن أخطائكم.. الأخطاء التي مهما بالغت والدتك
في تجسيمها، وبالفيت في وصفها تبدو أمامي صغيرة.. لا تقاس
بأخطائي عندما كنت في عمركم!!

ومنذ عدة شهور جاء في نشرة الأخبار أن حضرتك بدأت
تهتمين بأحد الشبان، وأن والدتك تعتقد أنك تحادثينه في
التليفون، وتعتقد أن هذا الشاب هو.. مدحت!
وانتفضت..

صدقيني أني انتفضت فعلا.. لا لأن الخبر أزعجني.. أبدا..
بل لأنني تذكرت فجأة أنك الآن في السادسة عشرة من عمرك..
ونحن الآباء، نتناسى دائما أعمار أولادنا حتى لا نتذكر أعمارنا!!
وأفقت من انتفاضتي مبديا اهتماما كبيرا بما سمعته..
اهتماما أثار دهشة والدتك، حتى أنها بدأت تقلل من شأن الخبر،
ظنا منها أنه أثارني وأغضبني.. ولكني لم أكن ثائرا أو غاضبا،
بل كان اهتمامي يخفي وراءه رعشة خفيفة تسري في أعصابي..
نفس الرعشة التي كانت تتقابني وأنا طالب مقبل على الامتحان،
وظلت تتقابني كلما أقدمت على عمل جديد أو تجربة جديدة..

وأنت تعلمين أني قضيت عمري أكتب للناس عن نظريات في
الحب وفي المجتمع.. وأطالب الآباء والأمهات بأن يسمعوا
الكلام.. كلامي.. ويوجهوا بناتهم وأولادهم وفقا لآرائي.. وقد
جاء الوقت الذي امتحن فيه نظرياتى، وأجرى فيه التجربة على
نفسى.. وعندما أقول نفسى، فإنما أعنى، أنت!

وانهلت على والدتك بعشرات الأسئلة.. متى، وكيف، وأين،
وماذا، ولماذا؟.. واستعملت كل حروف وكلمات الاستفهام.. ولم
أكن أسأل عن مدحت.. ولم يكن يهمنى شيء.. لا أخلاقه، ولا

زوجة أحمد

صنفاته، ولا عائلته.. نيل كنت أسأل عنك.. عن عواطفك، وعن تصرفاتك، وعن كل كلمة نطقت بها فى تلك الأيام، واستطيع أن استدل منها على شىء..

ولم أكن أريد أن أعرف إلا شيئاً واحداً.. هو أن الوقت لم يفت. وأن عاطفتك لاتزال وليدة فأستطيع أن أجرى عليها تجارىي.. وأن هذه العاطفة لم تشب وتشخ حتى أصبحت أقوى من التجربة فلا يبقى أمامى إلا أن استسلم لها..

واطمأن قلبى عندما اكدت لى والدتك أن اهتمامك بمدحت لم يبدأ إلا منذ أيام.. وانك صارحتها بكل ما جرى بينكما.. ولم يكن قد جرى بينكما شىء سوى أنك قابلته فى النادي، وانك تفضلين صحبته على صحبة بقية الشبان.. أو هذا على الأقل، ما صارحتنى به والدتك .

وبدأت أرسم الخطة بسرعة.. بدأت أجهز أدوات التجربة! طلبت من والدتك ألا تتدخل مطلقاً فى تصرفاتك.. وألا تحد من حريتك.. ألا تحاسبك على أحاديثك التليفونية، ولا على الاوقات التى تقضينها فى النادي.. وألا تستجوبك أو تتحايل عليك لتطلعها على أشياء لا تريدين ان تطلعى عليها أحداً..

وفى الوقت نفسه رجوت والدتك، أن تتعرف بسرعة على عائلة مدحت.. وأن تدعو أفرادها الى البيت، وأن تقدم مدحت الى اخويك محمد وأحمد.. ووعدتها أنى من ناحيتى سأحاول التعرف الى والد مدحت، وكسب صداقته..

ماذا كنت أريد؟

كنت أريد أن أثبت لنفسى أن الحرية هى الأمان الوحيد من اخطاء العاطفة..

زوجة احمد

وقد عرف المجتمع كله هذه الحقيقة وأن لم يعترف بها..
عرف انه لا يمكن تنظيم العاطفة البشرية والرقى بها إلا فى نطاق
الحرية.. فإذا وجدت للحرية اخطاء، فعلاجها هو.. مزيد من
الحرية..

وقد كانت البنات قبل أن تولدى أنت، وأولد أنا.. يعيشن وراء
المشربيات.. ولكن هذه المشربيات لم تحمهن من الخطيئة.. ولم
تهذب عواطفهن.. كن ينظرن من خلال ثقوب المشربية ويلوحن
لأى عابر سبيل.. ولما عجز المجتمع عن حمايتهن، وجد أن الحل
الوحيد هو القضاء على المشربيات، ومنح البنات حق النظر من
الشبابيك.. ثم حق الوقوف فى الشرفات.. ثم حق الخروج الى
الشارع.. وفى كل خطوة من هذه الخطوات، كانت الأخطاء تقل..
والعاطفة تترقى وتتهذب.. والسعادة تدخل الى البيوت..

وكما فشلت الديكتاتورية فى توفير السعادة للشعوب والرقى
بها وحمايتها من اعدائها.. فشلت المشربيات، والبراقع، وشوارب
الآباء، فى حماية النساء من الأخطاء وفى توفير السعادة لهن..
وكما تكثر الاغتيالات السياسية فى عهود الضغط والارهاب..
كانت الأعراض تغتال ودماء القلوب تسفك فى عصور
المشربيات والبراقع.

وانا لا احدثك مجرد حديث نظرى، انما احدثك عن تجربة..
فلا تزال أقل البنات حرية فى يومنا هذا هن أقرب البنات الى
السقوط واقربهن الى الخطيئة والعذاب.. ولا تسألينى عن
تجارى.. لا تكونى ملحاحه كعادتك وتطالبينى بالتفصيل.. فقط
صدقينى، كما تعودت دائما..

ورغم ذلك فأنا لم اترك لك الحرية دون أن أزودك بأسلحتها..

زوجة احمد

ان الانسان الحر يحتاج الى قوة، لا يحتاج اليها الانسان
العبد.. قوة نفسية وذهنية.. ومنذ كنت طفلة.. وانا أحاول أن
أزودك بهذه القوة..

والحرية ليست فراغا.. لا . إن أكثر الأمكنة امتلاء بالفراغ
هو السجن.. والسجين لا يتعذب بشيء قدر عذابه بالفراغ..
ولكن الحرية هي حقل بناء، حقل مزدحم بالعمل.. تحاولين فيه
بناء شخصيتك، وبناء ذهنك، وتحقيق أحلامك..

وقد زودتك بكل أدوات البناء.. لتبنى نفسك بنفسك!!

زودتك بالعلم، والفن.. لترى من خلالهما نفسك على
حقيقتها.. لترى أنك لست وجهها فحسب، ولست جسدا رشيقا
فحسب، ولست ثوبا أنيقا فحسب . ولكنك روح جميلة، وعقل
جميل..

وجمعت كل هذه الكتب والأسطوانات فى بيتنا، لا لأقرأها
واسمعها وحدى بل لتقرأوها وتسمعوها معى..

كنت أشتريها لكم حتى قبل أن تولدوا.. لأنى أومن بأن
الكتاب والأسطوانة، كالبودرة والروح تترزين بهما الفتاة وتزداد
جمالا.. وكالعضلات بالنسبة للشباب يزداد بها قوة وشبابا..

وعودتك على الذهاب إلى النادى.. لا لتبحثى لنفسك هناك من
عريس، بل لترى مجتمعا مختلطا، ليس لى سيطرة عليه كما
اسيطر على بيتنا.. مجتمعا تقابليين فيه كل الأنواع.. النوع
الراقى والنوع «الواطى».. الشريف والسافل.. حتى أعرضك من
صغرك لتجارب الحياة، وأتركك تتحصنين ضدها.. كما حصنك
الطبيب من مرض الجدري، بميكروب الجدري!!

واكثر من ذلك.. هل تذكرين يوم لعبت معك التنس لقد كنت

زوجة احمد

يومها متعبا، غاية في التعب.. وكان آخر ما أحب ان اعمله هو ان ألعب التنس.. ولكنى لاحظت يوما انك فارغة.. اقصد انك لا تجدين شيئا تعملينه، إنما تتجولين فى حدائق النادي بلا هدف وتبحثين عن أى شىء.. حتى.. لو كان شيئا مرا.. وقد كنت انت فى الحادية عشرة من عمرك، ولم أكن أخشى عليك من عواطفك.. أو - بصراحة - لم أكن أخشى أن تخطئى الطريق نحو شاب . ولكنى كنت أخشى عليك ما هو أخطر من الشبان . كنت أخشى عليك من أفزع خطيئة تعترض حياة الانسان وتجره الى باقى الخطايا.. كنت أخشى عليك من الفراغ.. الفراغ.. انهما كلمة تفزعنى كلما تصورتك متصفة بها.. فقامت سريعا، ورغم تعبى، ودعوتك الى لعب التنس.. وجعلتك بعد ذلك تهوين التنس، والفولى بول، والكروكيه والباسكت بول.. فقد كانت الرياضة سلاحا آخر أزودك به ليعينك على الحرية.. سلاحا تقتلين به ما قد يتبقى بعد أوقات العلم والفن، من فراغ..

وبعد ذلك.. بعد أن زودتك بأدوات البناء كان دورى فى تربيته مقصورا على أن أراقبك من بعيد وأنت تبين نفسك.. ولم أكن أساعدك فى عملية البناء إلا بهذا القدر الضئيل الذى يبدو فى كلمات أو تعليقات أقولها لك دون أن ألبسها ثوب النصيحة أو الأمر.. ولم يكن يهمنى فى مراقبتى لك، مدى ما تحققينه من نجاح.. إنما كان يهمنى مدى ما تبذلينه من جهد فى تحقيق النجاح.. كان يهمنى أن أراك دائما تحاولين..

ولم يكن يهمنى أن تنجحى فى امتحانات المدرسة، بقدر ما كان يهمنى أن أراك تنجحين فى تكوين شخصيتك.. وأنا أعرف أناسا كثيرين نجحوا فى المدرسة، وكانوا الأوائل فى الامتحان،

زوجة أحمد

ولكنهم فشلوا فى الحياة.. فقد كانوا يحملون شهادة، ولكنهم لا يحملون شخصية!!

كنت أريد أن أرى لك شخصية كاملة..

.. شخصية إنسان حر. له كل الحقوق، وعليه كل الواجبات.. ونحن نقول إن المرأة نصف الرجل... ثم نحاول أن نرضى المرأة فتقول إنها النصف الحلو.. ولكنى لم أكن أريد أن أراك «نصفا».. كنت أريد أن أراك «واحدا صحيحا».. فإذا اخترت رجلك.. أصبحت «واحدا بجانب واحد»، لا «نصفا من واحد».. وإذا سمعت كلامه فلأنك اقتنعت به، لا لأنك تخضعين له.. وإذا غسلت جواربه فلأن هذه هى مسؤوليتك فى البيت لا لأنك غسالة - ولا لأنك عبدة فى خدمة السيد..

وهذا هو الحب الصحيح..

الحب الذى اتمناه لك..

الحب الذى يجمع بين شخصيتين كاملتين.. ليس أحدهما عبدا وليس أحدهما سيذا. الاثنان يعيشان فى دنيا الأسياد.. على قدم المساواة.. والفرق بينهما، هو فقط فرق فى تقسيم العمل وفى التخصص لبعض شئون الحياة .

وفى سبيل مساعدتك على بناء شخصيتك.. تعمدت أن أعاملك فى البيت بنفس المقياس الذى أعامل به أخويك.. لم أفرق بينكم أبدا. ولم أعتبرك أقل منهما نضجا . ولم أعتبرك ناقصة عقلا ودينا، ولم أعتبرك أقل احتمالا.. ولم أعتبرك أقل استحقاقا للحرية منهما..

الحرية الممنوحة لكم انتم الثلاثة، هى حرية كاملة.. هى مبدأ الحرية والمبدأ لا يتجزأ.. لا أستطيع أن أزن لأخويك أقتين حرية..

زوجة أحمد

ثم أذن لك ربع أقة حرية.. كل ما هنالك أن أخويك يستعملان
حريتهما بطريقة معينة، وأنت تستعملينها بطريقة أخرى.. هما
يعودان الى البيت فى العاشرة مساء لأنهما يجدان ما يعملانه
خارج البيت حتى العاشرة، وأنت تعودين فى السادسة مساء
لأنك لا تجدين سببا يؤخرك عن العودة فى السادسة!
إلى هذا الحد أمنت بحريتك..

أمنت بها لأنها المجال الطبيعى لتكوين الشخصية الكاملة
التي أريدها لك.

وأمنت بها لأنها المجال الطبيعى الذى يتولد فيه الحب
الصحيح.. ان العبيد يخطئون كثيرا فى الوصول الى الحب..
ولكن الأحرار قلما يخطئون.. وإنى أعرف فتيات كثيرات توهمن
الحب هربا من السجون التي يعشن فيها.. هربا من الباب
المغلق، والأب القاسى، والأوامر الصارمة، وهربا من الفراغ الذى
يتعذبن به.. ثم يكتشفن - بعد فوات الوقت - انهن لم يهربن الى
الحب.. بل هرين الى الخطيئة!!

ولهذا كله.. لكل هذه الأسباب .. طلبت من والدتك ألا تقيد
حريتك، بعد أن سمعت بخير اهتمامك بمدحت!

لماذا سعيت الى التعرف على عائلة مدحت؟ ولماذا دعوتهم الى
البيت؟ ولماذا بذلت كل هذا المجهود لأجعل من مدحت صديقا
لمحمد وأحمد؟
لماذا؟

صديقين اننى لم أبدا بمعرفة السيد مدحت لشخصه..
وصديقين اننى بعد ان عرفتة لم اتمتع بصحبته ولا بصحبة
السيد الفاضل والده.. أه من والده.. انك لا تدريين كم اتعذب

زوجة أحمد

وانا استمع الى حديثه!!

وكذلك والدتك.. انها لم تتمتع كثيرا بصحبة السيدة والدته مدحت.. وكانت تعلم عنها انها «لكاكة طويلة اللسان».. ورغم ذلك فقد سعت إليها، واستعملت ذكاءها كله لتتعرّف عليها في مناسبة طبيعية لا يبدو فيها التعمد..

ولكن حكى وحكم والدتك على مدحت وعائلته لم يكن له وزن عندنا، ولم يكن له دخل في الخطة التي وضعناها..

كان المهم هو حكمك أنت عليه.. ومهما تعارض حكمك مع احكامنا.. فحكمك هو النافذ.. إنه رجل لك انت لا لى ولا لأمك.. واذا كان ذوقك وحش، فهذا ليس ذنبنا..

انما كان واجبى مقصورا على ان اضمك انت ومدحت فى مجتمع سليم نظيف، حتى اساعدك على تكوين رأيك فيه.. وحتى يكون حكمك عليه حكما سليما نظيفا..

وكان هذا المجتمع الذى يضم عائلتنا وعائلة مدحت هو الأرض الطيبة التى كونتها لتلقى فيها ببذور عواطفك، ويلقى فيها هو الآخر ببذور عواطفه.. فإذا كانت البذور سليمة.. ليست مسوسة، ولا كاذبة.. نبتت فى هذه الأرض الطيبة نباتا حسنا قويا.. وعشتما بها العمر كله..

ونحن فى حاجة دائما إلى المجتمع.. ليس فقط المجتمع العائلى الصغير، المجتمع العام.. مجتمع الناس كلهم..

ومهما كانت عيوب هذا المجتمع وطول لسانه، فهو يحمى الفرد.. يحميه من نفسه.. وعلى الاخص يحمى البنت من نفسها..

والحرية التى حدثك عنها، ليست حرية الفرد فى الفرار من

زوجة أحمد

المجتمع، ولكنها حرية الفرد فى ان يعيش داخل المجتمع..
ومجتمعنا - للأسف - له عيوب كثيرة.. وبرز عيوبه هو أنه
لا يمنح الفتاة حريتها، ولا يمنح الحب حريته.. فتكون النتيجة ان
تهرب الفتاة والحب منه.. ان يختبئ من الناس.. وعندما تختبئ
الفتاة تفقد حماية المجتمع لها.. الحماية من نفسها.. وعندما
يختبئ الحب يفقد أهم عناصره.. يفقد الحرية.. يفقد النور..
وينحرف نحو الخطيئة.. والخطيئة وحدها هى التى تختبئ
وتعيش فى الظلام.. ليس الحب!

ولذلك، فخير للفتاة ان تتحدى عيوب المجتمع من أن تفر منه..
ان تواجه المجتمع بحبها، من ان تختبئ مع الحب بعيدا عن
المجتمع..

ولذلك ايضا، تركتك تذهبين مع مدحت الى النادى وحدكما..
وتذهبان الى السينما.. وتذهبان إلى الحفلات التى تدعيان
اليها . وكان يكفينى انكما دائما امام الناس، وما دمتما امام
الناس فلن ترتكبا خطيئة، بل سيقوم فى نفسيكما الاحساس
بالمسئولية.. مسئوليتكما عن صيانة حبكما نظيفا طاهرا.. ومهما
قال الناس عنكما، فإن الكلام سيكون أهون من ان ترتكبا إثما لا
يتحدث عنه الناس..

وأنا اقول لك هذا مستعينا أيضا بتجاربي.. فأنى كصحفى
اعلم ان المجتمع يتحدث قليلا عن الأثمين، ويتحدث كثيرا عن
الاطهار..

يا حبيبتي:

هكذا سارت الخطة التى دبرناها حولك.. ولكن لا تظنى انى
لا أعيش إلا على النظريات.. هذه التى حدثتك عنها.. فإن فى

زوجة أحمد

نفسى شيئاً آخر غير النظريات . فى نفسى شىء آخر غير عقلى.. فيها احساس، وهو إحساس تكوّن من عدة عناصر لا أستطيع أن أسيطر عليها كلها . عناصر توارثت بعضها عن أبى وجدى وجد جدى، وباقى السلالة الكريمة التى لم تكن تؤمن بنظرياتى فى الحياة والحب والمجتمع..

وهذا الاحساس غالباً ما يتعارض مع النظريات.. عاطفتى تتعارض مع عقلى.. وكنت أتعذب من هذا التعارض، ومن خلال عذابى كنت أبذل مجهوداً كبيراً حتى أنصر عقلى على عواطفى وإحساسى..

كنت - مثلاً - أغار عليك من مدحت.. وكانت غيرتى تتجسم أمامى كأنى أخافى عليك.. رغم كل ثقتى فىك، ورغم كل إيمانى بنظرياتى، كنت أسألك نفسى: أين هى الآن؟ هل هى معه؟ وماذا يفعلان؟ وهل.. وهل.. وهل.. عشرات الأسئلة، ثم كنت أنتهى فجأة الى سؤال: هل يقبلها؟!

وعندما كنت أتصوره يقبلك، كنت أحس كأن خنجراً حاداً يمزق قلبى.. وأصبر على الألم صامتاً، ثم أحاول أن اتغلب عليه بتفكيرى.

لايهم أى يقبلك رجل..

هناك على الأقل رجل واحد سيقبلك..

ان القبله حق مشروع لك..

ولكن..

المهم أن تفهمى معنى القبله!

ان القبله ليست مجرد لمسة بين شفتين كما يعتقد اكثر

زوجة أحمد

البنات.. ليست شيئاً تافهاً..

وربما اعتقدت البنات أنها شيء تافه لأنها لا تؤدي إلى نتائج جسمانية خطيرة.. لا تؤدي إلى الحمل مثلاً.. ولكنها رغم ذلك ليست شيئاً تافهاً.. إن القبلة لها معنى خطير . ومعناها أنك سلمت جسدك لهذا الرجل الذي يقبلك!

لا يهم أى مكان فى جسدك تبيحينه له.. المهم أنه جسدك.. وشفتاك لا تقلان عزة وكرامة عن أى مكان آخر فى جسدك.. والشرف والعرض ليسا محصورين فى جزء محدد من هذا الجسد.. لا يمكن أن تكون ساقاك شريفتين، وذراعاك عرييدتين.. أنه جسم واحد.. ومعنى واحد.. إما أنه جسم نظيف، أو جسم غير نظيف.. إما شرف، أو لا شرف! وليس معنى هذا أنى أحرم عليك القبلة.. لا..

كل ما أطلبه منك، هو أن تعتبرى القبلة شيئاً كبيراً فى حياتك.. وأن تؤمنى بأن الرجل الذى يقبلك هو الرجل الذى قررت أن تمنحيه جسدك كله.. مدى حياتك!

أريدك أن تضعى دائماً أمام عينيك أن القبلة ليست عاطفة محضة.. ولكنها عاطفة وجسد.. والعاطفة والجسد عندما يجتمعان، فهو الحب فى قمته.. الحب عندما يتأكد ويتخلص من الشك..

فهل تأكدت من حبك لمدحت؟

هل.. خلاص؟!!

لقد انتظرت طويلاً حتى أجد الجواب على هذا السؤال.
سنة شهر مرت، وأنا انتظر نتيجة نظرياتى وتجاربى،

زوجة احمد

وأخشى فى كل يوم ان تنفجر انبوبة الاختبار فى وجهى ثم بدأت
ألاحظ أن اهتمامك بمدحت بدأ يفتر.. ربما اكتشفت فيه أشياء لا
ترضيك.. لا أدري.. ولكن اهتمامك ظل يتمادى فى الفتور.. حتى
تأكد أخيرا انه لم يعد بينكما سوى صداقة بريئة.. نفس الصداقة
التي أصبحت تربطه بأخويك محمد واحمد..

ماذا خسرنا من هذه التجربة؟

لا شئ، والحمد لله..

بل إننا كسبنا.. كسبت أنا إيمانا جديدا بنظرياتي فى تربية
البنات، وكسبنا كلنا صداقة مدحت وعائلته، رغم انى مازلت لا
أتحمل حديث ابيه..

وانى اتصور الآن ما كان يمكن ان يحدث لو انى تصرفت
كما يتصرف كثير من الآباء.. لو انى قيد حريتك بمجرد ان علمت
باهتمامك بمدحت، واغلقت من حولك الأبواب، وضربتك علة..
كنت ستتوهمين أنك تنالين هذا العذاب من أجل الحب..
وتتوهمين أنك تحبينه فعلا، فتتفرين منى إليه.. ثم تكتشفين بعد
فوات الاوان، أنك فررت إلى الخطيئة!!..
ولكن. الحمد لله



وبعد، يا أحب الناس إلى:

لقد اردت ان اكتب له اعترافا، فكتبت لك كشف حساب
بنظرياتي فى الحياة.. ربما لانك الآن بلغت العمر الذى تحتاجين
فيه الى نفسك، اكثر من حاجتك إلى.. فأردت ان اقدم لك إيمانى
لعلك تقتنعين به، وتستفيدين منه فى تجاربك المقبلة..

زوجة أحمد

ولا تسأليني لماذا أكتب اليك ونحن نعيش في بيت واحد..
لماذا لم أقل لك كل هذا الكلام ونحن جلوس حول المدفأة كعادتنا
كل مساء؟!

لا تسأليني.. فأنت تعلمين أني لا أجيد الكلام.. ولا أجيد
المناقشة . وأنى لا أستطيع أن أركز افكارى الا فوق سن قلمى .
ولعلك تعلمين أنى منذ تزوجت أمك حتى اليوم وأنا اكتب لها كل
شهر خطابا اقول لها فيه . كم أحبها . وانها ترد على كل شهر
بخطاب تقول لى فيه كم دلتنى، وكم عبثا حملته عنى!
ما رأيك لو تبادلنا - أنا وأنت - مثل هذه الخطابات؟
على الاقل، إذا كان لك تعليق على خطابى هذا، فلا تقولىه
لى، فإنى سأشغل نفسى عن حديثك بتقبيلك.. ولكن اكتبيه!
عشت لى..

حبك الأول..
إحسان عبدالقدوس

رقم الإيداع ١٤٨٨٦ / ٩٧
الترقيم الدولي

I. S. B. N

977 - 08 - 0700 - 1